التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٦٤

Yanabee'a
ينابيع

مَجلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهلِ البَيت عليهم السلام/ السَّنة ١٢/ العَدَد ٦٤ شهر رمضان - شوال ١٤٣٦هـ/ حزيران - تموز ٢٠١٥م

ينابيع ٦٤

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
ضياء حسن

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الأشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل: ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥**

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

المجتبى

قصيدة في آل البيت ، ومولد الإمام الحسن عليه السلام

((الأسراب الحائرة))

للشاعر مسلم الناصري

رُدّي إليَّ نضارتي وشبابي ... وخذي وعودك وارجعي بعذابي

ماذا جلبت من التقرب للورى ... غير الأسى والهجر والأوصاب

أقليلة الأعتاب إن ليالي الـ ... وصل المقيت كثيرة الأتعاب

لا تستقيلي قد مضى زمن الصبا ... وأتى زمان تأهبي لمآبي

إن الذي أخنى عليّ تقاعسي ... وتهاوني في ردِّ ما أودى بي

قد كنت آمل في عسى ولعلّما ... لا أن مكرك لم يكن بحسابي

وإذا بها ترنو إلي بنظرة ... وقرأتها مستاءة ممّا بي

قالت أراك هجرتني ماذا جرى؟ ... قلت اعزبي عني بلا أسباب

اليـــوم قـد ولـد الـذي أنـــواره ... فيها اهتـدى قبلي أولـو الألبـاب
اليـوم أطلقت الـقـوافي حـــرة ... فتحيرت فـي وصفـه أســـرابي
سبطٌ تـلألأَ فـي سماء هدايتـي ... مـن أطـهـــر الأحـســاب والأنـســاب

اليـوم أطلقت الـقـوافي حـــرة ... لتهيم فـي الآفـــاق بالتجـــواب
لكنها لما دنـت وتشـــــرفت ... بلقـــائه وبنـــوره الوهـاب
عـادت إلـى أعشاشها خجلى كمـا ... عـاد النســـيم لفجره الخلاب
الـحـب يصنعه التواصـل والندى ... والـبـعـد فـي الـدنـيـا عـن الأوصـاب
والـحـب ينهض بالنفوس إلـى العلا ... والـبـغـض يقذفهـــا إلـى إعطاب
لا عـذل ينتهك المـــودة إن تكن ... مابين مكتـنـف لها ورحـــاب
لاسيمـــا ودُّ الـذيـن جـروا بنـــا ... بعباب مجـد وهـو أيّ عباب
مـن أخـلـصـوا فتأصلوا فتنقلـوا ... فـي أطـهـر الأرحـــــام والأصـلاب
هـامـت قـلـوب المهتدين بحبهـم ... ولـجـودهـم وقـفـت عـلـى الأعـتـاب
والحق لـم أرَ مثـل آل محمـــد ... أولـى وأجـدر منه بالتحبـــاب

ألـق السماحة والـصـفـاء لديهم ... وهـدى السـبيل وبـغـيـة الـطـلاب
إن سـايـروا أتـرابـهـم فوجوههم ... تحكي تقـــدمهم على الأتـراب
أو عـاشـروا أصحـابـهـم فببذلهم ... يتفوقـون عـلـى نـدى الأصحـاب
لا تعجبوا مـن كـثـرة الإكـــرام في ... أبيـــاتهم أو قـلة الحُجّـاب
الـلـه فضلهم عـلـى كـل الـــورى ... وحبـــاهم بـجـــواهـــر الآداب
فـهـم عـلـى شـتـى مـجـــالات العلى ... يتألقـون عـلـى مـدى الأحقـاب
والـلـه طـهـرهـم وأعـلـى قـدرهـم ... وكـفـى بـمـا فـي سـورة الأحـــزاب

آل النبي محمد شفعاؤنا ... فذنوبنا توحي لنا بعقاب
وبهم من اليوم المهول نجاتنا ... من كل مدركة وكل عذاب
هم رحمة الرحمن بل أبوابها ... بل هم مفاتح تلكم الأبواب
هم ملتقى نور الوجود وسره ... للعلم للأخلاق للأحساب
آل النبي المخلصون أولو النهى ... تغني مكارمهم عن الإسهاب
أقطاب كل فضيلة محمودة ... تدعو إذا ذكرت إلى الإطراب
لم يقرضوا الدنيا سوى إلمامة ... تنبيك عن همم لدى الأقطاب
تركوا التمتع بالحياة لغيرهم ... ومضوا كما قدموا لها بذهاب
بل أسلموا تلك الغرور لأهلها ... ونأوا لهم عن طيفها الكذاب
وتألقوا بذرى الكمال فراقدًا ... يتلألؤون بنيل كل ثواب
رسموا بذلك في الحياة طريقنا ... وتعاهدوه بمنتهى الإعجاب

إن أنس لا أنس الإمام المجتبى ... سبط الرسول وزينة المحراب
من مهدت أيامه سبل القضا ... ءِ على الضلال ودولة الأذناب
قد كان ذا عهد ورأي حازم ... إن لم يكن ذا عدةٍ ونصاب
لاغروَ إن نهشته أنياب الأذى ... فالحر رهن تناهش الأنياب
هو همه إحياء عصرٍ منهك ... آلت به شمس الحجى لغياب
والذبُ عن دين النبي محمدِ ... من أمةٍ نكصت على الأعقاب
فلذا تخلد في القلوب مثاله ... فخراً وأصبح قبلة الأوّابِ
ذبوا بما أوتيتم عن حقكم ... فعن العيون يذبّ بالأهداب
إنا نعاني منذ أن غاب الهدى ... حكمًا تداولنا بشرعة غاب
طوبى لمن أحيا شعائر دينهِ ... وأضاء فيها مسلك المرتاب
وجلا الهموم بذكر آل محمد ... عن كل صدر من ذوي الألباب

أهم المواضيع

القرآنيات
ص (١٠)

التفسير والتأويل: د. حسين علي حسين المهدي

واحة الأدب
ص (٦٠)

استشهاد الإمام علي عليه السلام: أ.م.د.حسين لفته

القرآنيات
ص (١٥)

أول ما نزل من القرآن: د. عادل النصراوي

إضاءات السيرة
ص (٨٢)

معركة بدر .. قراءة مختلفة: رئيس التحرير

للفضيلة نجومها
ص (٩٢)

آية الله السيد مسلم الحلي: حيدر كاظم الجبوري

قراءات
ص (٢٠)

معالمُ بلاغيةٌ في تفسير البحر المحيط: م.م.رائد حامد المرعبي

طروحات عامة
ص (١١٦)

تحديد مصير البشر في ليلة القدر: فارس الحريزي

مع الفقيه
ص (٤٦)

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

كلمة العدد

وقفة.. مع تصريحات..

المشرف العام..... ٨

قرآنيات

التفسير والتأويل في (مواهب الرحمن)

د.حسين علي حسين المهدي.... ١٠

أوّلُ ما نزل من القرآن

أ.م. د. عادل عباس النصراوي... ١٥

قراءات

معالم بلاغية في تفسير البحر المحيط

م.م. رائد حامد المرعبي..... ٢٠

صُوَر فنيّة لأفعالِ الصّائمين

أ.م.د: حسين سامي شير علي..... ٢٦

آمن الرسول

ليلة القدر

سكينة الربيعي..... ٣٢

صَلاتُنا هَويتُنا

د. فارس حسن السلطاني..... ٣٦

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ

أ.مسلم مصارع علوان ٤٢

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٤٦

واحة الأدب

التوظيف التاريخي في مفارقات الإمام الحسن عليه السلام

أ.م.د. عباس علي الفحام..... ٥٤

استشهاد الإمام علي عليه السلام وفاجعة شهر رمضان

أ.م.د.حسين لفته حافظ..... ٦٠

ملامح بيانية في شعر الإمام الحسين عليه السلام

أ.م . د . مرتضى عبد النبي الشاوي... ٦٨

إضاءات السيرة

معركة بدر .. قراءة مختلفة

بقلم: رئيس التحرير..... ٨٢

صفات الرسول محمد صلى الله عليه وآله

باسم قاسم محمد الحمداني..... ٨٨

للفضيلة نجومها

آية الله السيد مسلم الحلي

حيدر كاظم الجبوري..... ٩٢

السيد حسين بن مساعد الحائري

د. سلمان هادي آل طعمه..... ٩٩

في النفس والمجتمع

أثر شهر رمضان في تنمية الولاء التنظيمي

أ.م.د. نجم عبد الله الموسوي..... ١٠٤

اجتناب المفطرات المعنوية للصيام..

د. محمد كاظم الفتلاوي..... ١٠٨

ثقافة التعاون والتسامح واحترام الاختلاف

د. مجيد حميد الحدراوي ١١٢

طروحات عامة

تحديد مصير البشر في ليلة القدر

فارس رزاق الحريزي..... ١١٦

الإسلام منهاج حياة

الشيخ حيدر الشكري..... ١٢١

حكاية مستبصر..... ٥٠

في الذاكرة..... ٧٤

وقفة مع الذكرى:..... ٧٨

أجوبة مسابقة العدد (٦٢) وأسماء الفائزين..... ١٢٨

مسابقة العدد (٦٤)..... ١٢٩

كلمة العدد

وقفة.. مع تصريحات..

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الظلم والحيف الذي طال شيعة أهل البيت عليهم السلام طيلة القرون الماضية، وما يستتبعه اليوم من المجازر الجماعية والإبادات الطائفية، وازدياد آهات الثكالى والأيتام في أرجاء المجتمعات الشيعية من جراء ما نالته من التعدي السافر على الأرواح البريئة التي لا «جُرم» لها سوى إيمانها بإمامة وصي الأوصياء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جاءت تصريحات غير مسؤولة تحدد مسار الفتنة الطائفية التي نعيشها اليوم، وكأنها اكتشفت ما لم يكتشفه أحد عبر السنين الماضية؛ بتقريب أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن في ذهنه المطالبة بالإمامة السياسية في يوم من الأيام، بل كان ينفر منها....

ولا أدري من أين جاء هذا الاستنتاج الفكري هل من قوله عليه السلام : «دعوني والتمسوا غيري...».. إذن ألم يسمع مناظراته مع عمر بن الخطاب وأحاديث عمر مع ابن عباس عن وجده وتأله.. واعتذار عمر بأن قريشاً لا تسمح باجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد.. وغير ذلك؟

وقوله عليه السلام لابن عباس: «إن خلافتكم أهون عليّ من هذه النعل» ويشير بها إلى نعله البالية لا يدل على زهده في الخلافة، بل لو تأمل المتأمل في العبارة وما تلاها لعرف أهمية قوله واهتمامه (صلوات الله عليه) بأمر آخر لأن قوله ذلك جاء بعد مبايعته، أو بعد مقتل عثمان بن عفان وقبل مبايعته عليه السلام بعد أن أحدثت سيرة الخلفاء من قبله شرخاً كبيرًا في النظام الإسلامي الذي رسمه النبي صلى الله عليه وآله فكان (صلوات الله عليه) يخشى من تأثير الواقع السلطوي الذي فرض نفسه في الفترة السابقة على الخطة التي ينبغي أن يقوم بها بعد استلام السلطة، ويتضح ذلك من تتمة كلامه عليه السلام في الخطبة نفسها، حيث قال عليه السلام: «دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب...»... مع أنه (صلوات الله عليه) قد مرّ بتلك التجربة حينما عقد مجلس الشورى وطلب منه السير بسيرة الشيخين إذا بويع بالخلافة، لكنه رفض وقال: أسير بهم على كتاب الله وسنة رسوله، لذا جاءت عباراته التي تنبئ عن احتقاره للسلطة وتنفره منها إشارة إلى أنه لا يبتغي بها الوصول إلى سلّم التسلط على رقاب الناس، بل إلى إقامة العدل بالأمر المعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحق ودفع الباطل. ولذا عقّب عبارته في الخطبة الآنفة الذكر بقوله: «فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإنَّ الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما

أعلم، ولم أصغ إلى قولِ القائلِ، وعتبِ العاتبِ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم...».

وقد دعمت التصريحات المذكورة هذا الموقف بأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا يعقل أن يظل صامتاً طيلة فترة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهي مدة تزيد عن الخمس والعشرين سنة... ثم يدب خلاف بينه وبين معاوية بسبب نظرية الإمامة...

وهل هناك من شك في نشوب الخلاف بينه وبين معاوية وما جره من الحروب الضارية الشرسة التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين ؟... وما كانت إلا على أساس نظرية الإمامة التي تأولها عموم المسلمين، ولذا أثر عنه أنه عليه السلام قال: «قاتلناهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله على التنزيل واليوم نقاتلهم على التأويل».

وقال عليه السلام في كلام له طويل: « فَإِنَّهُمْ ـ أي قريش ـ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله قَبْلِي فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي – فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي...» وقوله عليه السلام: «حتى صرت أقاد كالجمل المخشوش...» وهو تعبير فيه من دلالة الامتناع والقسر على إخضاعه على المطلوب ما لم يكن في غيره. ولا مجال لنا هنا في سبر الأقوال التي تكشف عن استيائه من استلاب حقه.

وكذا تابعت التصريحات المذكورة بأن الكثير من علماء الشيعة لم يعتبروا الإمامة كأصل من أصول الدين.

وكأنه لم يفرق بين أصل الدين وأصل المذهب.. بل لم يقل أحد من العلماء بحسب ما نعلم أنها أصل من أصول الدين، ولذا يعتبرون جميع المسلمين في صف واحد من احترام المال والدم والنكاح وغيرها من الأمور التي يشترك فيها المسلمون في أصل الملة ومعيار الإسلام. ولا ربط لها بالإمامة التي هي أصل من أصول المذهب الحق، وبه تقوم دعائمه، فإن الإسلام بمفهومه العام كالحرم، والداخل فيه تجري عليه وله عدة أمور، وأن الاعتراف بالإمامة أخص منه ولا يرجع الأخص ليكون قيداً للأعم.

لكن لا يعني ذلك أن الإمامة من فروع الدين وحالها حال الصلاة والزكاة، بل هي شرط في قبول الفروع وبها قيدت الأعمال الصالحة، وهي المعيار في قبولها عند الله تعالى.

وتابعت التصريحات المذكورة القول بأن الثلة التي كانت مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم تكن تعرف نظرية الإمامة..

ليت شعري هل رأى رواية أبي ذر الغفاري الذي نفاه عثمان عدة مرات ومات في المرة الأخيرة منها في الربذة، فقد روى عمار بن ياسر قال: سمعت أبا ذر جندب بن جنادة يقول: «رأيت النبي صلى الله عليه وآله آخذاً بيد علي بن أبي طالب فقال له يا علي أنت أخي وصفيي ووصيي ووزيري وأميني، مكانك مني في حياتي وبعد مماتي كمكان هارون من موسى إلا أنه لا نبي معي، من مات وهو يحبك ختم الله عز وجل له بالأمن والإيمان، ومن مات وهو يبغضك لم يكن له في الإسلام نصيب».

لكن تبقى هذه التصريحات وغيرها تصريحات تقدر بين الآونة والأخرى لتدفع بعجلة الطائفية نحو الأمام بدلًا من أن تخمد نارها.. وتثير حفيظة الموالين.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

■ **المشرف العام**

قرآنيات

التفسير والتأويل في (مواهب الرحمن)

د.حسين علي حسين المهدي
كلية الآداب -جامعة البصرة

التفسير: هو كشف المغطى وكشف القناع ببيان أول مرتبة من مراتب معاني اللفظ ((التفسير: من فسر وهو السفر بمعنى واحد أي كشف القناع ويحصل ذلك ببيان أول مرتبة من مراتب معاني اللفظ))[١]، وقد يكون بتبادر المعنى من اللفظ واستعماله فيه حتى لو كان من المجاز وعبر عنه بالظاهر والتنزيل وهو حجة، أماالتأويل فهو رتبة أعلى من التفسير في بيان المعاني، إذ يشمل التفسير وغيره، وهو مختص بأئمة الدين،ويشير السيد السبزواري في تفسيره (مواهب الرحمن) إلى أن التأويل من المصطلحات التي تشمل تحتها معاني كثيرة من الماديات والمعنويات والزمانيات والمكانيات، وعبر عنه بعلم البلايا والمنايا، وله مراتب كثيرة لعلها بطون القرآن؛ لأنه ((عرض عريض فيشمل كل ما له قابلية الشمول))[٢] وعلى حد تعبير السيد السبزواري((التأويل : من الأول: أي الرجوع إلى الأصل أو البيان وله مراتب كثيرة ... تارة: يكون واقعياً وعن حجة معتبرة، وهو ممدوح،وتارة: يكون اعتقادياً وبلا حجة معتبرة، وهو مذموم))[٣] يفهم من التعريف مع ما سبق من رأيه أنّ التأويل بمعنى إرجاع الغامض إلى الواضح أو المتشابه إلى المحكم إذ ((إنّ المحكمات بمنزلة المادة للآيات الشريفة، فلا بدَّ من رجوع جمعيها إليها وإلا يكون من قبيل الصورة بلا مادة، وهو غير ممكن))[٤]، أو أنه بيان الحقائق الواقعية على اختلاف مراتبها وإذا وصلنا إليها تتم أغراضنا وسعادتنا إذ أبان أن مصطلح التأويل ((هي المصالح الواقعية التي ينشأ منها الحكم، فيترتب عليها العمل، وهي التي يسعى الإنسان في

قرآنيات

جهده للوصول إليها و... بها تتم أغراضه وسعادته))[٥]، والتأويل بمعنى تعبير الرؤيا إذا كان حاكيًا عن حقائق خارجية، أي الذي يعبر الرؤيا عالم بالواقع الخارجي، أي من الراسخين بالعلم حينئذ يسمى تأويلًا، قال تعالى: (**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (سورة يوسف: ٦)، ونلاحظ في الآية تأويل الأحاديث نعْمَة عَلَى يوسف وعلى آبائه الأولياء، فالتأويل إفاضة إلهية على الأولياء، ومن أمثلة التأويل التي ذكرها السيد قصة نبي الله موسى والخضر عليهما السلام وهي في سورة الكهف من الآية ٦٦ إلى الآية٨٢، وكان معنى التأويل واضحًا ببيان المعاني والوقائع الخارجية لذلك قال الخضر عليه السلام: (**سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَلَيْهِ صَبْرًا**) (الكهف: ٧٨) فالتأويل قد يكون غير متعلق باللفظ وإنما يكون متعلقًا بالفيض الإلهي كما مع الخضر، فتأويله لم يكن متعلقًا باللفظ ولا بالظاهر وإنما أمور باطنية عرفها بالإلهام الإلهي وهذه الأمور ليست حجة إلا على أهلها أما التفسير فهو حجة على الجميع كما مرّ، المخصوصون بالتأويل هم الراسخون في العلم محمد وآل محمد والأولياء عليهم السلام كما نص بذلك القرآن: (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) (آل عمران: ٧) قال السيد السبزواري: ((إنَّ أسرار التأويل تجري في التكوينات من حيث بدأها إلى ختامها، وإنّ وقوعها في الخارج مطابق للتأويل الذي يكون في القرآن ولا يَعْلَمُه إلاَّ اللّه وَالرَّاسخُونَ فِي الْعِلْم ففي الحقيقة يمكن استفادة جميع أسرار التكوين من الآيات الشريفة بالتأويل كما يظهر من الآيات الشريفة قال تعالى: (**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**) (يس: ١٢) ...))[٦].

وبذا يكون مفهوم التأويل عند السيد السبزواري منصبًّا على أمور هي:

١. توجيه المتشابه بالرجوع إلى الأصل أي بإرجاع المتشابه إلى المحكم.

٢. بيان مصاديق الحقائق الخارجية ومآل الأمر فيها وعاقبتها الكائنة.

٣. تعبيرالرؤيا أي بيان المعاني في تفسير الأحلام إذا كانت حاكية عن حقائق ووقائع خارجية.

٤. بيان معاني الآيات على حقيقتها والمفهوم الذي تنطوي عليه؛ لأنّها رتبة أعلى من التفسير.

والتأويل عنده على قسمين كما مرَّ في نصه السابق تأويل مقبول وتأويل مرفوض، وكذلك التفسير عنده على قسمين ويفهم ذلك من مقدمته لتفسيره، وفيما أوضحه من معنى التفسير وهما: الأول التفسير المقبول: وهو الموافق لأصول الشريعة ومبادئها من عقل ونقل، والثاني: التفسير المذموم وهو التفسير بالرأي: وهو الذي رفضته الشريعة ومبادئها[٧] وهذا الذم ينطبق على التأويل المذموم؛ لأنّه تأويل (تفسير) بالرأي كذلك، فالتفسير بالرأي: هو إظهار المعاني القرآنية وفق مبادئ المفسر وهواه لا وفق مبادئ الله عز وجل المقررة عند الرسول والأئمة الطاهرين عليهم السلام ومن تابعهم من المفسرين الملتزمين والعلماء العاملين، وقد جاءت فيه روايات كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وآله استعرض السيد السبزواري قسمًا منها وذكر بعد العرض لها الذم الصريح في إعمال الرأي بالقرآن، ثم ذكر ثلاثة احتمالات في تلقي القرآن

والنظر فيه وبين أيًّا من تلك الاحتمالات تكون هي التفسير بالرأي ، والاحتمالات هي[٨]:

١. الأخذ بظاهر القرآن المتعارف عليه الذي لا لبس فيه مثل قوله تعالى: (**أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**) (المائدة:١)، وهذا لا إشكال فيه لكي لا يبطل الإفادة مما جاء في آيات التدبروالتفكر في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**) (محمد : ٢٤).

٢. الفهم الذهني بسبب الحركة الفكرية البسيطة الذي يصاحب التلقي الأولي للنص، ولا يترتب عليه أثر في الحكم فلا إذعان، ولا اعتقاد ، وهنا لا إشكال في هذا الفهم أيضًا؛ لأنه قد يكون بلا اختبار.

٣. الفهم الشخصي المترتب على النظر في القرآن الكريم مع الحكم والإذعان وترتيب الآثار عليه على أنه هو مراد الله جلت قدرته، وهنا يكمن الإشكال على الفاهم للمعاني بحسب ذوقه وأهوائه وتحميل النص ما لا يريد والذم الوارد في النصوص يقع عليه ، إذ لا بد من حفظ مراد القائل في كلماته لو كان من أعاظم الناس فكيف بقائل القرآن العظيم؟ فيأتي تفسيره وتأويله عند هذه الفئة منهم ابتغاء للفتنة، وابتغاء لتأويله حسب آرائهم وأهوائهم ومعتقداتهم الفاسدة مغرورين بأنفسهم وبإدراكاتهم القاصرة، فيصبحون مستحقين للذم لتفسيرهم وتأويلهم بلا حجة معتبرة، ولا دليل بيّن، وقد لجأ السيد إلى التخلص من هذا اللون من التفسير بالاستناد إلى تفسير القرآن نفسه بنفسه أي تفسير القرآن بالقرآن والسبب؛((لأنه تبيان كل شيء فإذا كان كذلك، فأولى أن يكون تبيانًا لنفسه مستدلاً لذلك بما ورد من السنة النبوية والمأثور عن الآل الذين قرنهم النبي ﷺ بالكتاب، وجعلهم الأدلاء عليه فجمعت بينهما وبين ما اتفق عليه الجميع مع تقرير الشريعة له))[٩]، محاولًا استظهار معاني ((الآيات المباركة بقرائن معتبرة))[١٠]، تحاشياً للتفسير بالرأي، وكان السيد واضحًا في تحديده دقيقاً في تعبيراته في بيان التفسير بالرأي ولخص ما ذهب إليه أصحاب علوم القرآن، فلم يوقف الحركة الفكرية عند المتلقين لكي يكونوا من الممتثلين لأمر الله بالتدبير في، (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**) (النساء: ٨٢)، فقد اشترط السيوطي قبله[١١] شرطين لكي يجتنب المفسر التفسير بالرأي وهما يتعلقان في فهم الكلام العربي في نظره:

أولاً: فهم اللفظ في اللسان العربي .

ثانياً: فهم المعاني المحتملة في اللفظ.

مع احتراز المفسر بعدم القطع والجزم بأن المعنى الذي طرحه هو المعنى الوحيد بقوله: والله أعلم أو هذا المعنى هو المحتمل وهكذا، وحدد السيوطي التفسير بالرأي أنه يكون:

١- عدم أهلية المفسر وتمكنه من العلوم التي تساعد على الوصول إلى المعنى السليم.

٢- تفسير المتشابه والقطع به، وهو ما ذهب إليه السيد السبزواري في تفسيره قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**) (آل عمران: ٧): ((سياق الآية يدل على الذم إن جزم بالمتشابه

من دون إرجاع إلى المحكم وترتب الأثر عليه فيدخل في ذلك جميع الآراء الفاسدة والمذاهب الباطلة التي يتمسك بها ببعض الآيات المتشابهة لإثبات ما يدعونه))[١٢].

٣- اعتماد فكر المفسر ومذهبه هو الأساس وجعل التفسير تابعًا لهذا المذهب أو ذلك الفكر والرأي.

٤- القطع بأن هذا المعنى هو مراد الله.

٥- التفسير بالاستحسان والهوى .

وقد لخص هذه النقاط الخمس محمد هادي معرفة بنقطتين هما[١٣]:

١- تطبيق الآراء والمذاهب والاعتقادات الشخصية على القرآن، لإنجاح معتقد المفسر الذاتي وهو بهذا لم يهدف إلى تفسير القرآن وإنما لتثبيت مذهبه ومعتقده.

٢- محايدة (اجتناب) طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام الإلهي (القرآن الكريم).

ومن المحدثين[١٤] من عرف التفسير بالرأي: بالاعتقاد، والقياس، والاجتهاد وقسمه على جائز محمود، وغير جائز مذموم، وكفانا السيد السبزواري مؤونة هذا التقسيم بما سلف من الاحتمالات التي ذكرها■

---

١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى السبزواري: ٥/ ٨٣ .

٢) المصدر نفسه: ٥/ ٨٣ .

٣) المصدر نفسه: ٥/ ٤٤ .

٤) المصدر نفسه: ٥/ ٥١ .

٥) المصدر نفسه: ٨/ ٣٦٢ .

٦) المصدر نفسه: ٥/ ٧٠ .

٧) ينظر: المصدر نفسه: ١/٤-٥ ، ونفسه: ٥/٨٣، ٨٥، وفي المعنى اللغوي ينظر العين: الخليل بن أحمد: مادة (فسر) ٧/٢٤٧، وينظر: في المادة اللغوية للتأويل نفسه: مادة أول: ٨/٣٦٩، ومفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني: مادة (فسر): ٦٣٦، ونفسه في مادة: أول: ٩٩، والمعجم الوسيط: مجموعة من المؤلفين: مادة (فسر): ٦٨٨، ونفسه في مادة: أول: ٧٠، وينظر في مفهوم التفسير والتأويل الاصطلاحي: تلخيص التمهيد: محمد هادي معرفة: ١/١١١، ٤٣٠-٤٤٨.

٨) ينظر الاحتمالات: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/٦٤-٦٥، ونفسه ٥/٤٤، وينظر في الروايات التي تذم التفسير بالرأي: بحار الأنوار: المجلسي: ٣٠/٥١٢، ٣٦/٢٢٧، ٨٩/١١٠.

٩) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٤ .

١٠) المصدر نفسه: ١/ ٤ .

١١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي: ٢/٤٨٠-٤٨٢ .

١٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٥/ ٥١ .

١٣) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب – محمد هادي معرفة : ١/٦٣-٦٤ .

١٤) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزرقاني : ١/٣٦٦-٣٦٧، والتفسير والمفسرون – د. محمد حسين الذهبي: ١/١٦٩.

قرآنيات

أوّلُ ما نزل من القرآن قراءة ترجيحية في روايات النزول

أ.م. د. عادل عباس النصراوي
مركز دراسات الكوفة . جامعة الكوفة

اختلفت الأخبار في أول نزول للقرآن على صدر النبي محمدﷺ إذ تواترت الروايات على أنّ القرآن الكريم نزل في شهر رمضان المبارك، وقد عزّز ذلك قوله تعالى:(**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**) (القدر:١) إلّا أنّ الرواة اختلفوا في أيّ من الآيات أو السُوَر نزل أولاً على صدر رسول اللّه ﷺ، وكلٌ قد ساق أدلته وبراهينه وسلسلة رواة حديثه التي تؤيد ما ذهب إليه، وقد اجتمعت الروايات في ذلك على أربعة أقوال ندرجها بما يأتي:

القول الأول:

إن قوله سبحانه: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) (العلق: ١) أول ما نزل،وهو ما روي عن عائشة، (أنها قالت: أول ما بدأ به رسول اللّهﷺ من الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنّث فيه، وهو تعبّد الليالي ذوات العدد، ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى فَجَأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول اللّهﷺ: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ منّي الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ منّي الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثالثة بلغ منّي الجهد، فقال: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) حتى بلغ ما لم يعلَم، فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة ... الحديث)[1].

وذهب أغلب العلماء إلى صحة هذا القول[2]

قرآنيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {١} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ {٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {٤} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {٥} كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى {٦} أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى {٧} إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى {٨} أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى {٩} عَبْداً إِذَا صَلَّى {١٠} أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى {١١} أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى {١٢} أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى {١٣} أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى {١٤} كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ {١٥} نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ {١٦} فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ {١٧} سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ {١٨} كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب {١٩} *

صدق الله العلي العظيم

العلق (مكية) 19

القول الثاني:

قوله سبحانه: (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ**)[٣]، وهو ما روي عن جابر عبد الله الأنصاري عندما سئل عند أول ما نزل من القرآن، فقال: (قال رسول اللهﷺ: إنّي جاورتُ بحراء شهراً، فلما قضيت بجواري نزلت فاستبطنتُ بطن الوادي فنوديت فنظرتُ أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء ، يعني جبريل ، فأخذتني رجفة فأتيتُ إلى خديجة فأمَرتهم فدثروني ثم صبّوا عليّ الماء فأنزل الله عليّ: (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ**)[٤] وهذا الحديث رواه مسلم عن زهير بن حرب عن الوليد بن مسلم الأوزاعي[٥] ورواه الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله الأنصاري[٦].

القول الثالث:

سورة الفاتحة، وهو المروي عن أبي ميسرة، فقد جاء عن الواحدي قوله: (... حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا إسرائيل عن أبي أسحق بن ميسرة أن رسول اللهﷺ كان إذا برز سمع منادياً يُناديه يا محمد فإذا سمع الصوت انطلق هارباً فقال له ورقة بن نوفل: إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك، قال: فلما برز سمع النداء (يا محمد) فقال: لبيك، قال: قل: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال: الْحَمْدُ لِلّه رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، حتى فرغ من فاتحة الكتاب؛ وهو قول عليّ بن أبي طالب)[٧]، وجاء في الكشاف أن أكثر المفسرين على أن الفاتحة هي أول ما نزل[٨].

القول الرابع:

البسملة وهي قوله سبحانه (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) فقد روى الواحدي عن أحمد بن محمد بن إبراهيم المقري عمن حدّث عنهم ، عن عكرمة والحسن قالا (أول ما نزل من القرآن ، (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) فهو أول ما نزل من القرآن بمكة، وأول سورة: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**)[٩]، وروى أيضاً عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال: (أول ما نزل به جبرائيل على النبيﷺ قال يا محمد استعذ بالله، ثم قال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)[١٠]، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (كان رسول الله ﷺ لا يعرف ختم السورة حتى ينزل عليه بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)[١١]، وروي أيضاً عن عبد الله بن مسعود، قال: (كلنا لا نعرف فصل بين السورتين حتى نزل بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)[١٢].

وبنظرة تحليلية سريعة على مجمل النصوص تتضح لنا أمورٌ كاشفة عن الظروف الداخلية والخارجية في النصوص القرآنية التي هي محل خلاف في أيّهما أسبق في النزول، فالقول الأول المخصص بنزول قوله سبحانه: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**)، فيه دلالة واضحة تقترن مع حالة التحنّث والتعبّد التي كان النبي محمدﷺ يمارسها آنذاك فهو كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك ممّا تتحنّث به قريش في الجاهلية أي يتبرر[١٣] بمعنى يتعبد ويتنسّك فكان يُطعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى جوارهﷺ من شهر رمضان ، كان أول ما يبتدئ به من منصرفه قبل دخول بيته ، يذهب إلى الكعبة فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع إلى بيته[١٤].

فكان هذا الحال التعبّد والتنسّك أيام الجاهلية هو الابتعاد عن هذه القذارات وعبادة الأوثان ومساعدة الفقراء والمساكين، فلما أراد الله تعالى أن يرسله نبياً إلى الناس كافة ابتدأ بتعليمه آداب العبادة، وهو الطلب من خالقه كلّ شيء وأن لا يطلب ذلك من غيره أي أنْ يبتدأ العبادة بالدعاء فقال له: (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ**)،والقراءة في اللغة من الفعل (قرأ) بمعنى جمع الألفاظ إلى بعضها ثم لفظها، وتأتي كذلك بمعنى العبادة التنسّك، قال الصاغاني (ت ٦٥٠هـ): (يقال: قرأتُ القرآن: أي لفظتُ به مجموعاً أي ألقيته ... وقرأ تنسّك، وجمع القارئ قرأةٌ؛ مثل عامل عَمَلة، وقراء أيضاً: مثل عابد وعُبّاد،القراء أيضاً المتنسّك. قال زيد بن تركيّ أخو يزيد:

ولقد عجبتُ لكاعـــبٍ مَوْدونة
أطرافُـهـا بالحـلـــي والحنّـاء
بيضاء تصطاد النفوس وتستبي
بالحُسْن قـلبَ المسلم القراء[١٥]

قال جرير:

يـا أيهـا القارئ المرضي عمامتَه
هذا زمانُك إنّي قد مضىَ زمني[١٦]

ولمّا كان من معنى القراءة التعبّد والتنسّك، والقراءة مقترنة باللفظ والطلب، فهي يعني الدعاء والطلب من المعبود، أي إن قوله سبحانه: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) جاء لتأديب الرسولﷺ وتعليمه أصل العبادة والتنسّك هو الدعاء فجاء جلّ ثناؤه آمراً منه تعالى لنبيه محمدﷺ بذلك.

وأورد نولدكه أن (روايات أخرى نورد: (ما أقرأ) أو (فما أقرأ) أو (وما أقرأ)[١٧] على سبيل الاستفهام عما يُراد منه قراءته، فهذه الروايات تقرب إلى معنى السؤال عن ما يدعو به ﷺ ربّه جلّ جلاله ،لا على سبيل نفي علم القراءة .

إذن دلالة (اقرأ) على الدعاء في حالة التحنّث والتنسّك والتعبّد أليق من كونها دعوة إلى القراءة المحضة التي بمعنى جمع اللفظ إلى اللفظ ثم إلقائها، مع أن الله تعالى كان عالماً بأمّيّة النبيﷺ فالأمر بالقراءة للأمي يكون غير مناسب، فضلاً عن أن الظرف الذي نزلت به الآية لا يأخذ بنا إلى هذا الأمر، كما أخذ بأيدينا حال التعبّد إلى دلالة (اقرأ) على التنسّك والعبادة.

إذن قوي ترجيح القول بنزول قوله (اقرأ) أولاً بعوامل جاءت من خارج النص المتمثلة بحالة العبادة للنبي محمدﷺ في غار حراء وانقطاعه لله وعمله الخيرات، فضلاً عن الدلالة اللغوية للألفاظ وصيغة الأمر المقتضية القيام بفعل الدعاء والابتداء به قبل كلّ عبادة داخل النص.

أما القول الثاني المتمثل بقوله سبحانه: (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ**)[١٨]، ففيه دعوة لإبلاغ رسالة من دون سابق قول وتوجيه وتوضيح، وفي هذا قفزٌ على خطوات تسلسل الحدث ، فربّما يكون حادث الأمر بإنذار الناس إلى دين الحق يكون خطوة تالية بعد إبلاغهﷺ بالنبوة والبعث ثم الأمر بإبلاغ الرسالة إلى الناس كافة وربّما كان مراد مَنْ قال إنّ أول ما نزل من القرآن هو ما نزل بعد فترة الوحي، لا أولية مطلقة[٢].

أما القول الثالث فلم يقل بالإجماع عليه إلّا الزمخشري من دون إعطاء دليل على ذلك وصرّح آخرون بأن هذا القول لم يقل به إلّا عدد أقلّ من القليل ، وأنّ الحديث مرسلٌ سقط من سنده الصحابي[١٩]، فضلاً

عن ذلك. إن في سورة الفاتحة دعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك والإيمان بيوم الدين، وهي جزء من إبلاغ رسالة فأصلح ما يكون أن تأتي تالية بعد إبلاغه بالنبوة، والنبوة قبل الرسالة.

فضلاً عن ذلك يشير الدكتور جواد علي إلى قِدَم سورة (اقرأ) على غيرها من السور من خلال دراسته لأسباب النزول وروايتها التي ذكرتها كتب التفسير، فيقول :(ولكننا لو درسنا أسباب النزول المدوّنة في كتب التفسير والحديث بعناية ودقة، نجد باستثناء (اقرأ) تشير في الواقع إلى أنّ نزولها كان بعد مدة الاستخفاء وبعد تحرّش قريش به وتعرّضها بالإسلام)[٢٠].

أما القول الرابع، فهو محتمل وقوي لأن فيه ابتداء كل عمل، فما بالك بقول الله جل وعلا فهو الأَوْلَى أن يفتتح به كل سورة من سور القرآن الكريم[٢١]، وممّا يُعزز القول أنّ عند السيوطي من ضرورات نزول السورة، نزول البسملة معها، فهي عنده أول آية نزلت على الإطلاق[٢٢].

في ضوء ما تقدّم نرجِّح أنّ نزول (اقرأ) الأول من القرآن لدلالة الظروف الخارجية فضلاً عما توحيه الدوال الداخلية للنص على ذلك، ولا نعدم نزول سورة المدثر والفاتحة من كونها من أوائل ما نزل من القرآن الكريم مقترنة بالبسملة، لأنها افتتاح كل سورة من سور القرآن، لمساسها بباقي الأحداث الجارية والحال الذي عليه المجتمع العربي، كما أوضحنا ذلك من قبل■

---

١) أسباب النزول / الواحدي: ٥ ؛الإتقان في علوم القرآن/ السيوطي: ٥٠/١

٢) ظ: معاني القرآن/ الفراء: ٢٧٨/١؛ تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير: ٤١٩/١؛ البحر المحيط / أبو حيان: ٨/ ٦٩٣ ؛ تأريخ اليعقوبي: ٢٢/٢ ؛ التبيان/ الطوسي: ٣٧٨/١٠ ؛الإتقان في علوم القرآن/ السيوطي: ٥٣/١ ؛ المصاحف/ السجستاني: ٨٨.

٣) سورة المدثر/ الآية: ١.

٤) أسباب النزول/ الواحدي: ٥ ؛التبيان/ الطوسي: ١٧١/١٠.

٥) م . ن . ، الإتقان / السيوطي: ٥١/١

٦) ظ : م . ن : ١/ ٥١.

٧) أسباب النزول / الواحدي:١٢ ؛ ظ: مجمع البيان / الطبرسي: م٥ /٥١٤ .

٨) ظ :الكشاف/ الزمخشري: ٧٨١/٤ ؛ الإتقان في علوم القرآن/ السيوطي: ٥١/١.

٩) أسباب النزول / الواحدي: ٦.

١٠) ظ: م .ن: ١١.

١١) ظ: م .ن .

١٢) ظ: م .ن .

١٣) السيرة النبوية/ ابن هشام: ٢١٨/١.

١٤) ظ: م . ن: ١/ ٢١٩

١٥) العباب الزاخر/ حرف الهمزة: الصاغاني: ١٤٦- قرأ ؛ ظ: أساس البلاغة/ الزمخشري: ٤٩٩- قرأ؛ ظ: لسان العرب/ ابن منظور: ١١/ ٧٩ – قرأ .

١٦) ظ : ديوانه: ٤٧٤ ؛ أساس البلاغة / الزمخشري: ٤٩٩- قرأ .

١٧) تأريخ القرآن/ نولدكه: ١٤ .

١٨) سورة المدثر/ الآية: ١.

١٩) ظ : م .ن: ٥٢/١ ، ٨٩.

٢٠) تأريخ العرب في الإسلام – السيرة النبوية -/ د. جواد علي: ٢٤٠- ٢٤١.

٢١) سنناقش البسملة فيما بعد.

٢٢) ظ: الإتقان / السيوطي: ١/ ٥٢.

قراءات

معالمُ بلاغيةٌ في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي*

م.م. رائد حامد المرعبي
معهد المعلمين/الديوانية

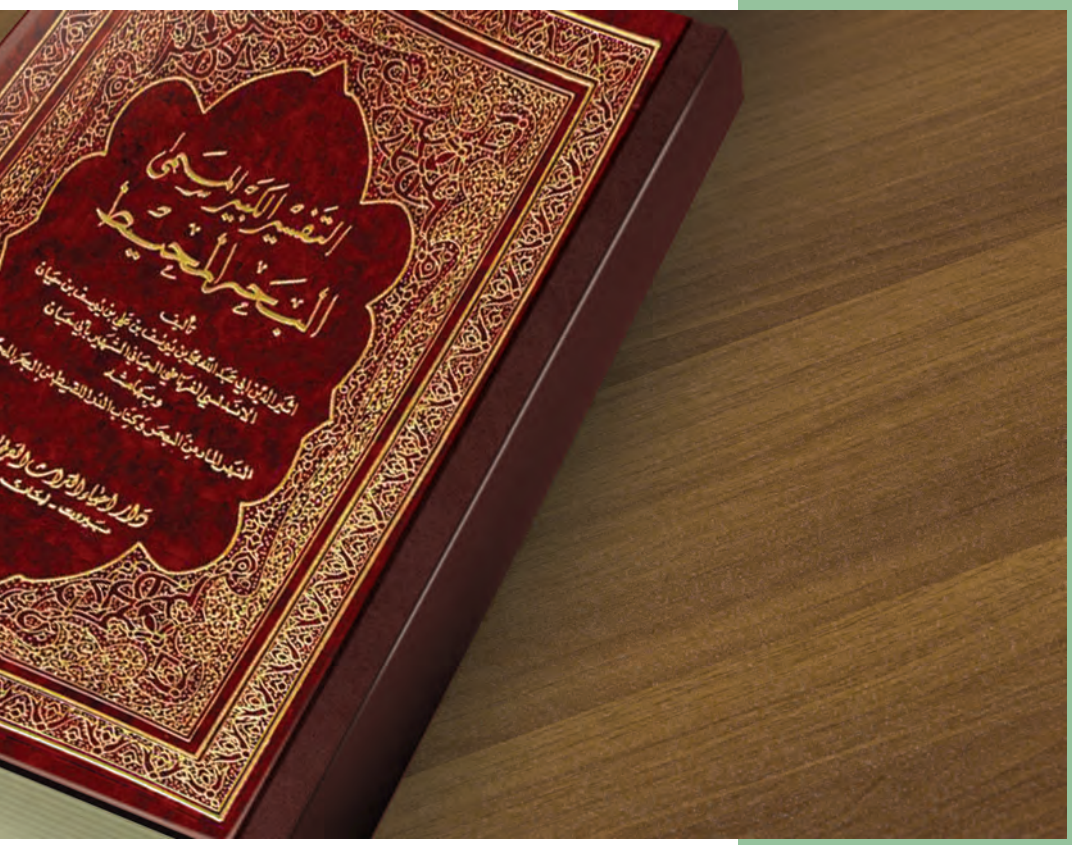

كان الاهتمام بالجانب البلاغي في الأندلس جزءًا من الثقافة التي كانت سائدة في القرنين السادس والسابع الهجريين، وكان من لا يأتي في كتاباته بالفنون البديعية والأغراب يعد قاصرًا عن فنون الكتابة[١].

وربما كان إحساس الأندلسيين بالعزلة عن العالم العربي والإسلامي عاملًا هامًا في عنايتهم بفنون البلاغة وغيرها من العلوم، إشعارًا منهم بمواكبة المشرقيين بما وصل إليه الدرس المشرقي.

ففي الشرق كانت كتب النقد الأولى تعد بمثابة حجر الأساس للدراسات البلاغية بعد أن عاش النقد والبلاغة مرتبطين دهرًا طويلًا قبل أن ينفصلا، والأندلسيون قضوا وقتًا طويلًا وهم يستمدون مقاييسهم النقدية من تلك الكتب، واستوعبوا ما فيها من فنون بلاغية كانت هي الأساس في مقاييسهم النقدية والبلاغية[٢].

وصل هذا التراث البلاغي إلى أبي حيان فعمل على توظيفه في تفسيره، إذ يمكن عد هذا التفسير خلاصة لما كتبه علماء المسلمين الأوائل، (إذ تؤلف النقول المختلفة المادة الرئيسة للكتاب، وهذا شأن معظم كتب المتأخرين)[٣].

ولا يعني هذا أنه كان مسلوب الإرادة أمام ذلك التراث، أو أنه سلم بكل ما جاء فيه، بل العكس من ذلك.

فمن يتمعن في تفسيره يجد هناك دومًا ردودًا بلاغية على مفسرين كالزمخشري[٤] (ت٥٣٨هـ)، وابن عطية[٥] (ت٥٤٦هـ)، وغيرهم[٦]، ممن صرح باسمه أو لم يصرح، إذ يدل ذلك دلالة واضحة على عقلية كبيرة وشخصية علمية واثقة من نفسها، وكأنه بحر تصب فيه روافد الأولين فيحويها،

ويستسقي منها ما يشاء فيصوّب، ويخطِّئ من يشاء بما يراه صحيحًا.

ومن تلك الردود ما قاله في رد ((دعوى الزمخشري في أبيات امرئ القيس الثلاثة، أن فيها ثلاث التفاتات غير صحيح، بل هما التفاتتان، **الأول:** خروج من الخطاب المفتتح به في قوله:

تطاول ليلك بالأثمد
ونام الخلي ولم ترقد

إلى الغيبة في قوله:

وبات وباتت لهُ ليلة
كليلة ذي العائر الأرمد

الثاني: خروج من هذه الغيبة إلى المتكلم في قوله:

وذلك من نباء جاءني
وخبرته عن أبي الأسودِ

وتأويل كلامه أنها ثلاثٌ: خطأٌ، وتعيين أن الأول هو الانتقال من الغيبة إلى الحضور أشد خطأً، لأن هذا الالتفات هو من عوارض الألفاظ لا من التقادير المعنوية[٧]، ويبدو واضحًا أن رد أبي حيان كان موضوعيًّا بعيدًا عن التعصب المذهبي، فالبحث البلاغي محل الخلاف جاء في سياق الشعر وليس في آية من آيات الكتاب العزيز حتى ينحاز الظن إلى أن المسألة تتعلق بالخلاف العقائدي بين المذهبين ـ أي مذهب أبي حيان والزمخشري ـ فهو قد اعتمد على ذوقه الأدبي وحسه المرهف في توجيه المعنى البلاغي في هذا الموضع.

وهذه الخبرة البلاغية اكتسبها أبو حيان من التراث السابق لعصره، إذ وظفه بما يخدم النص القرآني، بيد أنه صرح بمن أخذ عنه فنون البلاغة، وذكر أن الناس قد صنفوا في ذلك مصنفات كثيرة ((وأجمعها ما جمعه .... الأديب الصالح، أبو عبد الله، محمد بن سليمان النقيب[٨].

وذلك في مجلدين فقدمهما أمام كتابه في التفسير، ومما وضعه ... الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري القرطانجي[٩]، مقيم تونس المسمى منهاج البلغاء وسراج الأدباء وقد أخذت منه جملة من هذا الفن))[١٠].

غير أنه لم يقتصر على هذين العلمين، بل أخذ من غيرهما كأسامة بن منقذ[١١] (٥٨٤هـ) والرازي[١٢] ت(٦٠٦هـ) ممن شكلوا بمجموعهم روافدَ لهذا التفسير.

وقد اتبع أبو حيان منهجًا بلاغيًا صرح به هو في مقدمة تفسيره، إذ إنه يختم الكلام في جملة من الآيات التي فسرها ـ إفرادًا وتركيبًا ـ بما فيها من علم البيان والبديع[١٣].

غير أن هذه المنهجية البلاغية لم تستمر طويلًا، إذ إنها كانت في الأجزاء الثلاثة الأولى من التفسير، ومن ثم تغير الأمر بعد ذلك إلى نشر المباحث البلاغية في سياق الكلام دون أن يميزها، أو يفصلها كما فعل في الأجزاء الثلاثة الأولى.

وربما يكون تجنب التكرار هو ما دعا أبا حيان إلى الإعراض عن تلك المنهجية، إذ حرص على أن لا يكرر ((الكلام في لفظ سبق، ولا في جملة تقدم الكلام عليها، ولا في آية فسرت))[١٤].

مما حدا به إلى تغيير تلك المنهجية التي ألزم بها نفسه في مقدمة التفسير برمتها دون أن يقتصر على البحث البلاغي، وهذا لم يؤثر أو يقلل من أهمية التفسير، إذ إن طرحه بعد أن كان يقوم على تلخيص ما تم تناوله من مباحث بلاغية أثناء التفسير، أصبح يقتصر على تلك المباحث التي

جاءت في سياق تفسيره للآيات وهذة مزية تحسب له لا عليه، كي لا يثقل التفسير بما هو مكرر.

وقد كان للنزعة الظاهرية أثرها الواضح في بلاغة أبي حيان ((ولمّا كان المذهب الظاهري يقوم على الأخذ بظاهر النصوص))[١٥]، ظهر أثر هذه القضية واضحًا في باب الحقيقة والمجاز، إذ إن أبا حيان لم يجوّز في كلامه ما جوّزه ((النحاة ... من سلوك التقادير البعيدة، والتراكيب القلقة، والمجازات المعقدة))[١٦]، بل يرى أن الأولى حمل اللفظ على ظاهره ما أمكن، والعدول عن الظاهر لغير مانع لا يتناسب[١٧].

فحمل الكلمات في الآيات على معانيها الحقيقية أفضل من حملها على المجاز[١٨]، إلا إذا توافرت أسباب تستدعي الحمل على المجاز[١٩].

وقد التفت أبو حيان إلى مسألة قديمة شغلت بال الأولين، ألا وهي مسألة إعجاز القرآن أباللفظ هي أم بالمعنى، وأجاب عن ذلك السؤال بأن الإعجاز القرآني هو في اللفظ والمعنى معاً، في معرض رده على من ذهب إلى أن التقديم والتأخير في القرآن إنما هو لأجل مراعاة الفاصلة كابن الأثير والعلوي عند مرورهما بقوله تعالى: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) (الفاتحة: ٥)، إذ إن التقديم عندهما لمراعاة النظام السجعي الذي هو حرف النون، إذ لو قال: (نعبدك ونستعينك) لذهبت تلك الطلاوة ولزال ذلك الحسن[٢٠].

وهذا ما لا يرتضيه أبو حيان الذي ذهب خلاف ذلك الرأي، فالتقديم والتأخير عنده (لا يقال لأجل السجع، لأن معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ، بل فيه وفي المعنى، والشاعر قد يقدم ويؤخر لأجل السجع، والقرآن. المعنى صحيح واللفظ فصيح)[٢١].

وهناك مَعْلَمٌ بلاغيٌ آخر في تفسير البحر المحيط لابد أن نقف عنده، ونبين مغزاه، ألا وهو كيفية استخدام أبي حيان الأندلسي للمصطلح البلاغي في التفسير.

إن قراءة فاحصة لكيفية استعمال أبي حيان للمصطلح البلاغي، تظهر أنه قد جاوز في استعماله دلالة مصطلحات البلاغة الرئيسة (المعاني، والبيان، والبديع)، إذ أصبحت تلك المصطلحات ومصطلحات أخرى كالفصاحة والبلاغة كلها تعني عنده البلاغة العربية بشكلها العام. بل إن هذا الإرباك لم يقتصر على العنوانات الرئيسة للبلاغة العربية، بل نجده ينسحب على بعض الفنون البلاغية ونسبتها، فقد جعل التشبيه والمجاز صنفين من أصناف البديع في موضع من تفسيره[٢٢]، وتارة عد المجاز ضربًا من ضروب البيان والبديع[٢٣]، وأخرى من ضروب الفصاحة والبديع مما يدلل بشكل أو بآخر على تجاوز أبي حيان لمصطلحات البلاغة الرئيسة، وما يؤكد هذا القول أن مصطلح (علم البيان) لم يرد في تفسيره إلا عند قوله تعالى: (**كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**) (هود: ٩)، بقوله: (وقال أهل علم البيان: لم يرد في القرآن استطراد إلا في هذا الموضع)[٢٤]. والاستطراد من فنون علم البديع وليس البيان، مما يعني أنه قصد بأهل علم البيان البلاغيين بالمفهوم العام. وعلى أية حال فإن المصطلح الرئيس للبلاغة وعلومها لا يحظى بالأهمية بالنسبة لمفسر يعنى بالدرجة الأساس بمفاهيم تلك العلوم

وتطبيقاتها على آي الذكر الحكيم.

وفيما يخص علم البديع شأنه شأن بقية المصطلحات، فإن أبا حيان نجده قد تجاوز دلالة العنوان (البديع)، كما أنه لم يصرح بقسمي هذا العنوان، أي المحسنات المعنوية واللفظية وإن كان قد ذكر أغلب فنون هذين القسمين.

ولم يكن غض الطرف عن عنوانات هذا العلم جهلًا من أبي حيان صاحب العقل الموسوعي بل يرجع إلى نظرته للبلاغة وهي نظرة مفسر يأخذ منها ما يخدمه في تأويل النص ويدخل ضمناً في صلب الموضوع، لا نظرة بلاغي يعنى بالتقسيمات والتفريعات■

---

* أبو حيان الأندلسي: هو أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي. ولد بضواحي غرناطة سنة ٦٥٤هـ، كان مالكي المذهب، ثم اعتنق المذهب الظاهري الذي ظهر في الأندلس. وهو صاحب التفسير المعروف (تفسير البحر المحيط).

١) ينظر: النثر الأندلسي في عهدي (الموحدين وبني الأحمر) ، حسن أسعد (أطروحة): ٢٣٢-٢٧٥ .

٢) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر ،د . إحسان عباس: ٤٠٥-٥٠٥.

٣) دراسات في اللسانيات العربية ، د: عبد الحميد السيد: ٨٤.

٤) ينظر: البحر المحيط: ١١١/١، ١١٢ ، ١٤٢ ، ٢٤٠ ، ٥٣٤ ، ٩/٣ ، ١٢٤، ١٦ .

٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٧/١، ١١٢ ، ٢٨٦ ، ٣٠٤ ، ٧/٦ ، ٢٣ ، ٤٤ .

٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٩/١ ، ١٧٣ ، ٢٨/٢ ، ٤٩ ، ٣٢ ، ٨٠ .

٧) البحر المحيط: ١٤٢/١.

٨) هو محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين البلخي الأصل الحنفي المفسر المعروف بابن النقيب، مات في محرم سنة ثمان وتسعين وستمائة، ينظر: شذرات الذهب: ٤٤٢/٥.

٩) هو أبو الحسن هائئ الدين، عالم في البلاغة والأدب واللغة والعروض، ناثر، ناظم من آثاره: منهاج البلغاء في علم البلاغة، والقصيدة الميمية في النحو. ينظر: بغية الوعاة :٢١٤، وشذرات الذهب: ٣٨٧/٥-٣٨٨.

١٠) البحر المحيط: ١٠٧/١ .

١١) ينظر: المصدر نفسه: ٩٠/٤ .

١٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٥/١، ١٠٨ ، ١٤٧ ، ٣٠٢ ، ٥٦٢ .

١٣) ينظر المصدر نفسه: ١٠٣/١.

١٤) المصدر نفسه: ١٠٣/١.

١٥) المدارس النحوية: ٤١٤ .

١٦) البحر المحيط :١٠٣/١.

١٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٧/١.

١٨) ينظر: المصدر نفسه: ٧١/٢.

١٩) ينظر: المصدر نفسه: ٧١/٢.

٢٠) ينظر: المثل السائر: ٢-٢١، والطراز: ٢٣٤.

٢١) البحر المحيط: ٧-٢٩٥

٢٢) ينظر: م.ن: ٢-٥٤٥.

٢٣) ينظر: م.ن: ٢-٤٩٢.

٢٤) البحر المحيط: ٥-٢٥٨.

مساجد من العالم

الجامع الأزهر

الجامع الأزهر: من أهم المساجد في مصر وأشهرها في العالم الإسلامي. وهو جامع وجامعة منذ أكثر من ألف سنة، وقد أنشئ على يد جوهر الصقلي عندما تم فتح القاهرة ٩٧٠م، بأمر من المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر، وبعدما أسس مدينة القاهرة شرع في إنشاء الجامع الأزهر، ووضع الخليفة المعز لدين الله حجر أساس الجامع الأزهر في ١٤ رمضان سنة ٣٥٩ هـ - ٩٧٠م، وأتم بناء المسجد في شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ - ٩٧٢م، فهو بذلك أول جامع أنشئ في مدينة القاهرة، وهو أقدم أثر فاطمي قائم بمصر. وقد سموه بالأزهر تيمنًا بفاطمة الزهراء عليها السلام وإشادة بذكراها.

قراءات

صُوَر فنيّة لأفعالِ الصّائمين

أ.م.د: حسين سامي شير علي
كلية الفقه ـ جامعة الكوفة

عدد كبير من الأحاديث الشريفة وظفّها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وآل بيته المعصومين عليهم السلام للترغيب والتشجيع في مقام حثّ المكلفين على أداء هذه الفريضة المباركة، مما يمكن أن تمثّل دافعاً معنوياً روحياً يشد أزر النفس في مقارعة الشهوات الوقتية، معززاً لقوة التحمّل لأعباء الجوع والعطش في أيام الشهر الفضيل.

وقد تمثّل هذا الحث والتشجيع على شكل صور فنية بلاغية من شأنها أن تنقل المتلقي من حالة الواقع إلى حالة أخرى أكثر واقعية في مقام قناعة المكلف وزيادة قدرته على الأداء المرتبط بالعقيدة الراسخة.

كما أن هذه الصور من شأنها أن تعكس التسامح الإسلامي من خلال المرونة في التشريع وعدم التشدد والتطرف غير المبرر الذي يعكس بدوره صورة مشوشة ومشوهة لتعاليم الإسلام.

ومن هذه الصور:

١. العلاقة الزوجية فترة الإمساك الشرعي:

يتعامل المكلف في العادة أثناء فترة الإمساك بنوع من الحذر الكبير في مجال التماس مع الزوجة، وفي الواقع إن المبالغة في الحذر غير مبرّر شرعاً، إلا في مجال التحذير من تطور المساس إلى حالة الإنزال، وإلا فإن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله قد سئل يوماً (عن الرجل يقبّل امرأته وهو صائم؟ فقال صلى الله عليه وآله: هل هي إلّا ريحانة يشمّها)[1] فقد شبّه صلى الله عليه وآله المرأة بالريحانة في صورةٍ فنية رائعة تبتعد عن الغلو والتطرف في المعاملة الزوجية، مشيراً إلى انتفاء البأس عن الصائم المكلف من

لمس ومداعبة وملاطفة المرأة في وقت الإمساك الشرعي، شريطة أن لا يؤدي ذلك إلى تطور هذه العلاقة إلى ما لا يحمد عقباه، مما أوضحه أمير المؤمنين عليه السلام في مناسبة أخرى عندما جاء إليه رجلٌ سائلاً: (يا أمير المؤمنين: أُقبّل وأنا صائم؟ فقال له: عِفَّ صومك فإن بدء القتال اللِّطام)[٢] في صورة فنية تعكس التخوّف والتحذير واستفحال الشهوة في نفس الإنسان الأمّارة بالسوء، وتكتسي بثوب النصيحة الهادفة مستخدمًا في ذلك تشبيه الحالة في صورة معركة تبدأ عادة بتبادل الكلام إلى ارتفاعه بين الطرفين، إلى تبادل اللكمات إلى القتال، وهو ما يمثل أكثر من تشبيه بليغ لما قد يحدث بين زوجين صائمين.

٢. صورة قارئ القرآن الكريم في رمضان:

من المستحبات الأكيدة للمكلف قراءة القرآن الكريم في كل أيام السنة، ولها خصوصية أكثر في أيام الشهر الفضيل بلحاظ نزول القرآن الكريم على صدر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في هذا الشهر، وفي ليلة مباركة منه، وهي ليلة القدر التي عدّها القرآن الكريم «خيرٌ من ألف شهر»، والتي هي سلامٌ حتى مطلع الفجر كما وصفها الكتاب العزيز.

وقد جاء في بعض الروايات عن أهل البيت عليهم السلام إن هنالك أوقاتاً مخصوصة وسورًا معينة يمكن أن نمثلها بأوقات الذروة حيث تتزايد منها الإثابة الإلهية كما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله:

(من قرأ إنا أنزلناه.. عند فطوره وعند سحوره، كان فيما بينهما كالمتشحط بدمه في سبيل الله)[٣].

فالمشبه في الحديث الشريف هو: قارئ سورة إنا أنزلناه في فطوره وسحوره.

وأداة التشبيه الكاف.

والمشبه به هو الصورة الفنية التي خالفت تماماً موضوع التشبيه وانطلقت إلى أبعاد متسامية في وصف سلوك هذا القارئ.

فالمتشحط بدمه، هي صورة للشهيد في سبيل الله، الذي تمتزج صورته بدمه وهو يتخبط لحظة الاستشهاد بدمائه الزكية الطاهرة منازعاً الروح التي تريد أن تغادره، وهو ينازعها إلى لحظة وداع الدنيا.

٣. صورة الصائم يرى الناس تأكل في رمضان:

فقد ورد عندنا (حرمة التجاهر بالإفطار في شهر رمضان حتى للمعذور شرعًا كالمريض والمسافر، لأن في هذا التجاهر خرقًا للعرف العام الذي أريد أن يكون عليه مظهر المسلمين في هذا الشهر المبارك)[٤] هذا فضلًا عما يسببه من أذىً نفسي للصائمين عند رؤية الطعام والشراب، وعضويٍّ لمن يعاني من العطش والجوع، وخاصة رؤية الماء البارد في أيام الصيف اللاهب.

وقد لاحظ أئمة أهل البيت عليهم السلام المردود السلبي الذي ينعكس على نفسية الصائم، وصوّروا لنا طبيعة الثواب الذي يناله جزاءً عن معاناته النفسية والعضوية من جرّاء مجاهرة الآخرين، فقال الإمام الصادق عليه السلام: (إذا رأى الصائم قوماً يأكلون أو رجلاً يأكل سبّحت كل شعرة منه)[٥]، ولنا أن نتخيّل صورة الشعرة في رأس الإنسان أو في جسده وهي تُسبّح باسم الله تبارك وتعالى، إنه تعبير رائع يمثل كناية عن تسبيح الأعضاء والجوارح بالنيابة لمن يواجه مثل هذا الموقف الصعب متحملًا آثاره

المعنوية والنفسية والعضوية، وقد استعمل المعصوم (الشعرة) لمكان ضعفها وصغرها في جسم الإنسان، ونسب إليها التسبيح، فوهب لها القوة والحركة والإشعاع والنور عندما جعل منها كائناً متكاملاً ناطقاً متحركاً ومؤثراً عندما استعمله لأداء ردة فعل واضحة، مستشعراً وظيفة (الشعرة) المهمة التي عادة ما تتحرك في الجسم عند صدمة الإنسان بموقف مؤثر، فيقال عندئذٍ (وقف شعر الرأس) أو (أصابته قشعريرة) أو غير ذلك من التعبيرات التي يراد منها الإشارة إلى الأثر والمؤثر، ولعلّ ما هو أوضح من ذلك قول النبيﷺ في مناسبة مشابهة في حديث ينسب التسبيح إلى الأعضاء (ما من صائم يحضر قومًا يطعمون إلا سبحت له أعضاؤه، وكانت صلاة الملائكة عليه، وكانت صلاتهم استغفاراً)[٦] فالصورة في هذا الحديث الشريف أكثر اتساعًا عندما نسبت التسبيح إلى كل الأعضاء، وأضافت إليه صلاة الملائكة استغفاراً للصائم، فأصبحت الصورة بألوان زاهية وشخوص متعددين فقد ضمنت ثلاثة عناصر هي:

أـ صورة التسبيح.

ب ـ صورة الملائكة.

ج ـ الاستغفار.

ولك أن تتخيل جمالية تلك الصورة التي رسمها الحديث الشريف لمكافأة الصائم الذي يرى الناس يتجاهرون بالإفطار.

٤ـ صورة نوم الصائم:

في بعض فصول السنة يطول النهار ويقصر الليل، مما يجعل الصائم في معاناة من الجوع والعطش، الأمر الذي حدا بأئمة أهل البيتعليهم السلام إلى تقديم نصائحهم إلى الصائمين بالترغيب إلى النوم مما وُصف بالقيلولة أو غيرها، ولم يفُتهُم أن يغلّفوا تلك النصائح بصورٍ جميلة من شأنها أن تعزز قوة الصبر والقدرة على التحمل، والتخفيف من المعاناة.

ومنها عن الإمام الرضاعليه السلام: (قيلُوا فَإنَّ اللّه يُطْعِمُ الصَّائِمَ ويَسْقِيه فِي مَنَامه)[٧]، وهي في الواقع صورة غير حقيقية في إطار الاعتبارات العضوية، فلا يمكن لجميع المخلوقات أن تتناول شيئاً وهي في حالة السبات أو النوم، إلا على طريقة تناول الدواء عبر أدوات طبية معروفة بالنسبة للمرضى، ولكنها المساعدة الإلهية التي أشار إليها المعصومعليه السلام والدعم الإيماني الكبير الذي يناله الصائم المؤمن، والذي صوّره الإمامعليه السلام في هيئة رجل نائم والطعام يدخل جوفه والشراب يروي غليله من دون شعور منه، وبالفعل حين ينام الصائم ويصحو يلمس قوة خفية في جسمه وكأنه قد تناول شيئاً عزّز من قوة تحمله حتى إن بعضهم يتوافر الاستعداد في نفسه لمواصلة الصوم إلى مديات أبعد من ساعة الإفطار، ولذلك قد نجد بعض الصائمين ينتظرون ساعة الإفطار بفارغ الصبر، بينما نجد آخرين لا تشكّل تلك الساعة اهتماماً في نفوسهم أكثر من اهتمامهم بالصلاة في وقتها.

ولعلنا نتلمس هذا الأثر الرهيب في صورة أرقى فيما جاء عن رسول اللّهﷺ الذي قال يصف حالة النوم للصائم (نوم الصائم عبادة، ونَفَسهُ تسبيح)[٨].

فقد أضافﷺ إلى صورة النوم ألوانًا مختلفة، وحركات إيمانية راقية مليئة بالنشاط والحيوية، فلم يعد نوم الصائم نوماً بالمعنى الفني، وإن ما حصل هو ألوان العبادة بما تحتمله من صلوات وزكوات وزيارات وبكاء وفرح وقراءة

قرآن وغيرها، بالإضافة إلى حالة التسبيح المستمر مع حركة الأنفاس، حيث حولت الصورة الفنية الشهيق والزفير الصادر من النائم إلى صورة (سبحان الله) التي تتكرر وتتردد مع كل نفس صادر من النائم الصائم.

تلك الصورة الرائعة التي تفيض بالنور والصلوات والتسابيح مما يفوق حد التصور الواقعي.

وهكذا تتوالى الصور والمشاهد الفنية الرائعة التي رسمها أئمة أهل البيت عليهم السلام دافعاً معنوياً حقيقياً هادفاً إلى خدمة المسلمين والعقيدة الإسلامية■

١) المقنع/الشيخ الصدوق/ص١٨٩.
٢) منتهى المطلب/العلامة الحلي/ج٩ص١٧٨.
٣) وسائل الشيعة /الحر العاملي/ج١٠ص١٤٩.
٤) تفسير سورة الحمد/السيد محمد باقر الحكيم/ ص١٨٣.
٥) فضائل الأشهر الثلاثة/الشيخ الصدوق/ص١١٩.
٦) من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق/ ج٢ ص٨٧.
٧) الكافي/ للكليني/ ج٤ص٦٥.
٨) المقنعة/ الشيخ المفيد/ ص٣٠٤.

الصوم في حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

* إن الله تعالى يوكل ملائكته بالدعاء للصائمين. وقال : أخبرني جبرئيل عن ربه جل اسمه : أنه قال : ما أمرت ملائكتي بالدعاء لأحد من خلقي إلا استجبت لهم فيه .
* الصوم جنة من النار.
* نوم الصائم عبادة ، ونفسه تسبيح .
* لكل شيء زكاة ، وزكاة الأبدان الصيام .
* إن للجنة بابًا يدعى الريان لا يدخل منه إلا الصائمون .
* من صام شهر رمضان إيمانًا واحتسابًا ، وكف سمعه وبصره ولسانه عن الناس ، قبل الله صومه ، وغفر له ما تقدم من ذنبه .
* قال الله عز وجل الصوم لي وأنا أجزي به.
* الصائم في عبادة وإن كان على فراشه ما لم يغتب مسلمًا.
* أوحى الله عز وجل إليه ـ موسى عليه السلام ـ :لخلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك .

(المقنعة/ الشيخ المفيد ص٣٠٤)

شَهرُ رَمَضان

مسلم الحساني

رمضانُ شـــهر الخير والبركاتِ ... أوقـاتُ مجدِكَ أفضلُ الأوقـاتِ
بوركتَ ياشهرَ التواصلِ والندى ... تغـدو على الأيــام بالخيـرات
رمضـانُ لاعدمَتْـكَ أعلامُ التُقى ... ياواحــةً تـزدانُ بالحَسَـــنات
تتفيـأُ الآمالُ عندك ظلَّـــها ... بضـيافةِ الـرحمــانِ في الجنّـات
طوبى لمن منـحَ العبـــادةَ حقَّها ... بالصوم والتسبيح والصلوات
طوبى لمن أسرى إليـــك تزوداً ... ليفوزَ بالرضوانِ في الغُرُفات
طوبى لمن يلقى المهيمنَ تـائبًـا ... في ظلّك الموفورِ بالسُـبُحـات
ياشــهرُ إنك ربوةٌ قدســيةٌ ... بين الشهور عظيمةُ الفُسُحات
ســبحانَه فلقدْ سـمت ألطافـهُ ... بعبـادهِ بتجـــاوزِ العَقَبـــات
رمضانُ أودعك الجليلُ كتابَـــه ... وذهبت من غفرانِـــه بهبـات
فكفــاك أنَّ الله جـلّ جلالُــه ... قدماً حَبَـاك بأكبرِ الحُرُمـات
شهر تبارك من دعا فيه الورى ... كرماً إليـــــهِ ليغـفرَ الهَفَـوات
لتكون أعمــالُ العبادِ بــه لـــــه ... يجزي عليها الربُّ خيرَ جِزات
إنَّ الذنوبَ لتأكلُ الحسـناتِ ـ لو ... لم يمْحِها الرحمنُ ـ كالآفـــات
ماذا أقــولُ وهل تطـولُك قولتي ... واللهُ قدْ أعــلاك بالآيـــــــات
وبمن أشـــادَ الله فيــه (بذكرِهِ) ... ماذا تقــول قواصـرُ الكلمـات

آمن الرسول

ليلة القدر

سكينة الربيعي

قال تعالى: ((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ))

معنى القدر:

١- لغة: قال الراغب في مفرداته: (وقوله **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)** إلى آخرها، أي: ليلة قيضها لأمور مخصوصة)[١].

وقال الفيومي في المصباح المنير: (والقدر بالفتح لا غير القضاء الذي يقدره الله تعالى وإذا وافق الشيء الشيء قيل جاء على قدر بالفتح)[٢].

٢- اصطلاحًا: ليلة القدر هي ليلة مباركة وهبها الله تعالى لأمة نبيه محمدﷺ بل

خير من ألف شهر، فيها تتنزل الملائكة والروح، وفيها نزل القرآن، وفيها تقدر شؤون العباد، (وقد سماها الله تعالى ليلة القدر، والظاهر أن المراد بالقدر التقدير، فهي ليلة التقدير يقدّر الله فيها حوادث السنة من الليلة إلى مثلها من قابل من حياة وموت ورزق وسعادة وشقاء وغير ذلك، كما يدل عليه قوله في سورة الدخان في صفة الليلة: (فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك)، فليس فرق الأمر الحكيم إلا إحكام الحادثة الواقعة بخصوصياتها بالتقدير)[٣].

يتضح من الآية الكريمة أن ليلة القدر هي في شهر رمضان المبارك، باعتبارها بينت أن نزول القرآن كان فيها، وفي آية أخرى بين الله تعالى أن القرآن نزل في شهر رمضان، (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ**)[٤]، فهي إذن ليلة عظيمة مباركة تحيط بها الملائكة، وتتنزل إلى الدنيا، ومما يزيدها عظمة هو نزول القرآن فيها الذي هو الدستور الإلهي الخالد الذي جعله الله تعالى للبشرية، فأعظم كتاب سماوي نزل في هذه الليلة المباركة، ويذكر المفسرون أن للقرآن نزولين:

١- نزول دفعي: وهو نزول القرآن بأجمعه على قلب النبي صلى الله عليه وآله أو على البيت المعمور أو من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

٢- نزول تدريجي: وهو ما تم خلال (٢٣) سنة من عصر النبوة[٥].

إذن ليلة القدر هي ليلة نزول القرآن وليلة نزول الخير والبركات الإلهية على الإنسان، وكذلك هي ليلة تقدير المصائر البشرية من قبل الله تعالى، والقرآن الكريم عبر عنها بأنها (**خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**)، أي إن العمل والعبادة فيها تعادل ألف شهر الذي هو يعادل ثمانين سنة، فليلة واحدة في كل سنة جعل الله تعالى العمل فيها والطاعة والعبادة يعادل عمراً كاملاً يمكن أن يعيشه الإنسان في طاعة الله سبحانه وتعالى، وفي أدعية الصحيفة السجادية ورد عن الإمام السجاد عليه السلام: (ثم فضل ليلة واحدة من لياليه على ليالي ألف شهر، وسماها ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام دائم البركة إلى طلوع الفجر على من يشاء من عباده بما أحكم من قضائه)[٦].

فهي ليلة متميزة بالشأن والعظمة بحيث إن العبادة تعدل فيها عبادة ألف شهر، فعن الصادق عليه السلام حيث قال له بعض الأصحاب: (كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر)[٧].

وسئل الإمام أبو جعفر عليه السلام عن (**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**) أي شيء عنى بذلك؟ فقال: (العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وأنواع الخير خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا ولكن الله يضاعف لهم الحسنات)[٨].

لماذا سميت بليلة القدر؟

ورد في سبب تسمية هذه الليلة بـ (ليلة القدر) كثير من المعاني أو الأسباب التي لأجلها سميت بهذا الاسم منها:

١- لأن هذه الليلة هي ليلة تقدير شؤون العباد لسنة كاملة، قال تعالى: (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**)[٩]، وقد ذكر صاحب تفسير القمي المحدث الكبير علي بن

إبراهيم: (إن معنى ليلة القدر أن الله يقدر الآجال والأرزاق وكل أمر يحدث من موت أو حياة أو خطب أو جدب أو خير أو شر، كما قال تعالى: (**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**) سنة إلى سنة)[١٠].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل، خير أو شر، وطاعة أو معصية، ومولود وأجل ورزق، فما قدر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم، ولله (عز وجل) فيه المشيئة)[١١].

وبالطبع فإن هذه المسألة لا تنافي حرية واختيار الإنسان، وإنما تتعلق بمسألة علم الله تعالى بخصوص مخلوقاته واستحقاقهم كل حسب قابليته واستعداده وعمله.

٢- إنها سميت ليلة القدر لشرفها ومنزلتها وعظمتها (ما قدروا الله حق قدره)[١٢].

٣- لأن القرآن بكل قدره ومنزلته نزل على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بوساطة الملك العظيم في هذه الليلة.

٤- إنها الليلة التي قدر فيها نزول القرآن.

٥- إنها الليلة التي من أحياها نال قدراً ومنزلة.

٦- وقيل أيضاً لأنها الليلة التي تنزل فيها الملائكة حتى تضيق بهم الأرض لكثرتهم[١٣].

أي ليلة هي ليلة القدر؟

قلنا سابقاً بأن ليلة القدر هي في شهر رمضان المبارك، وهذا الأمر مما لا خلاف فيه، وإنما وقع الخلاف في أنها في أي يوم من شهر رمضان المبارك تكون؟

اختلفت الروايات في تعيين هذه الليلة، وأكثر الروايات تحصرها بين ثلاث ليالٍ من هذا الشهر الفضيل، وهي الليلة التاسعة عشرة، والليلة الحادية والعشرين، والليلة الثالثة والعشرين، فقد سئل الإمام الباقر عليه السلام عما إذا كان يعرف ليلة القدر قال عليه السلام: (كيف لا نعرف والملائكة تطوف بنا فيها)، وفي رواية أخرى: (سئل الإمام عليه السلام هل: إنها الليلة الحادية والعشرون أو الثالثة والعشرون؟ وعندما أصر في تعيين واحدة من الليلتين لم يزد الإمام على أن يقول: ما أيسر ليلتين فيما تطلب) عليه السلام.

فالروايات لم تعين ليلة بالخصوص وإن كان بعضها يؤكد على ليلة ثلاث وعشرين أكثر من غيرها، ولكن بالرغم من ذلك لم تحدد الروايات ليلة معينة، ففي قول معاوية للحسن بن علي عليه السلام: أخبرنا عن ليلة القدر. قال: (نعم، عن مثل هذا فاسأل، إن الله خلق السماوات سبعاً، والأرضين سبعاً، والجن من سبع، والإنس من سبع، فتطلب من ليلة ثلاث وعشرين إلى ليلة سبع وعشرين) ثم نهض[١٥].

والظاهر أن في إخفاء ليلة القدر بين ثلاث ليالٍ هناك غاية، فالله تعالى إنما أخفاها لعظمتها ولشأنها وأهميتها لأن لا تهمل غيرها من الليالي، فكثير من المور المهمة يخفيها الله تعالى عن خلقه لحكمة إلهية، فقد ورد أنه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: أخبرنا عن ليلة القدر؟ قال: (ما أخلوا من أكون أعلمها، ولست أشك إنما يسترها عنكم نظرًا لكم، لأنكم لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها وأرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله)[١٦].

عطاءات ليلة القدر:

وليلة القدر تلك الليلة المباركة العظيمة التي تعادل ألف شهر، والتي نزل فيها القرآن العظيم وحفتها الملائكة، وجعل

اللّه فيها السلام والأمان والخير والبركة، لا بد أن يكون لها عطاء ينير درب الإنسان ويحلق به في معارج الكمال، ومن عطاءاتها:

١- إنها تجعل الإنسان يشمر عن ساعد الجد ليجد في القرب من اللّه، ويسعى لأن يجعل ليلة كاملة هي في خدمة مولاه يتعبد ويتقرب إليه ويتخلص من مغريات الدنيا ومشاغلها حين يفرغ نفسه ووقته للّه تعالى وعبادته فقط، وهذا الأمر من الطبيعي أن يكون له تأثير كبير على روحية الإنسان وتكامله وسيره نحو اللّه تعالى، خصوصاً وأن ليلة القدر وكما أسلفنا قبل قليل غير محددة بل مخفية بين عدة ليال وهذا مما يقرب الإنسان من اللّه أكثر وأكثر ويجعله يعيش في رحاب العبودية للّه تعالى.

٢- وبما أن ليلة القدر هي ليلة تقدير الأرزاق والآجال وكل ما يهم الإنسان لسنته المقبلة، وفي الوقت نفسه هي ليلة طاعة وقرب من اللّه تعالى فمن الطبيعي أن الإنسان المؤمن عندما يرفع يده إلى اللّه تعالى يطلب منه كل ما فيه خيره وصلاحه وبذلك سيكون له دور كبير في تقدير شؤونه الحياتية عندما يطلب من اللّه تعالى الأفضل والأحسن والأكمل.

٣- وكذلك هي ليلة تتكرر في كل سنة فليست متوقفة عند سنة واحدة بل في عمر الإنسان في كل سنة تعاد عليه هذه الليلة المباركة ليتزود منها، وهذا يعني أنه في كل سنة تكون له محطة يتزود منها مما يصلحه ويساعده على التكامل وعلى السير نحو اللّه تعالى.

٤- هي ليلة سلام ورحمة وبركة، ففي آخر السورة يعبر القرآن بـ (**سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**)، والسلام يراد منه هنا (إشارة إلى العناية الإلهية بشمول الرحمة لعباده المقبلين إليه وسد باب نقمة جديدة تختص بالليلة ويلزمه بالطبع وهن كيد الشيطان)[١٧].

وكذلك وردت تفاسير أخرى لمعنى السلام الوارد في الآية الكريمة منها مفعمة بالخير والسلامة والرحمة كما أن الملائكة والروح تتنزل فيها فهي إذن ليلة مفعمة بالسلامة من بدايتها حتى مطلع فجرها.

وقيل أيضاً: إن إطلاق كلمة سلام على تلك الليلة يعني أن الملائكة تسلم باستمرار على بعضها أو على المؤمنين أو إنها تأتي إلى النبي صلى الله عليه وآله وخليفته المعصوم تسلم عليه.

إنها على أي حال ليلة ملؤها النور والرحمة والخير والبركات والسلامة والسعادة من الجهات كلها، وقد سئل الإمام محمد الباقر عليه السلام عما إذا كان يعرف ليلة القدر، فقال: (كيف لا نعرف والملائكة تطوف بنا)[١٨]■

---

١)مفردات الراغب الأصفهاني: ٦٥٨ .
٢) المصباح المنير للفيومي: ٤٩٢ .
٣) تفسير الميزان: ٣٧٩/٢٠ .
٤) سورة البقرة.
٥) الأمثل: ٢٦٧/٢٠ .
٦) الصحيفة السجادية.
٧) الكافي: ١٥٧/٤ .
٨) م.ن: ١٥٨/٤ .
٩) الدخان: ٤/٣ .
١٠) تفسير القمي: ٤٣١/٢ .
١١) الكافي: ١٥٧/٤ .
١٢) الحج: ٧٤ .
١٣) أخذت هذه النقاط من تفسير الأمثل بتصرف بسيط: ٢٧٠/٢٠ .
١٤) نور الثقلين: ٦٢٥/٥ .
١٥) الكافي: ٢٤١/٧ .
١٦) الكافي: ٢٤١/٧ .
١٧) الميزان: ٣٨١/٢٠ .
١٨) الأمثل: ٢٦٩/٢٠ .

آمن الرسول

صَلاتُنا هَويتُنا

د. فارس حسن السلطاني
كلية التربية الأساسية/جامعة الكوفة

(فَخَلَفَ من بَعْدهمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

الخلف بفتح اللام وسكونها ـ ما يعقبه الرجل من الذرية إلا أن العرب غالباً حين تريد أن تمدح الذرية تقول: (خَلَف) بفتح اللام، وحين تريد ذمها تسكن اللام (خَلْف)، وفيها إشارة إلى عواقب الأمم حين تغيب القيادة الواعية، وتضيع وتنقلب المقررات الدينية المتمثلة في الكتاب السماوي وسنة النبي المرسلﷺ، مما يدفع المجرمين ذوي المصالح إلى قتل كل من يخالفهم لإثبات ما يريدون من الدين، فيكون ذلك تمهيداً لنزول العذاب السماوي، ولذلك كانت الوصية المهمة من النبي الأعظمﷺ في حديث عرف بـ (حديث الثقلين): (إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعده أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[1]، يؤكد كما يشير بعض النصوص في هذا الحديث في بعض الصحاح: (أوصيكم الله في أهل بيتي، أوصيكم الله في أهل بيتي، أوصيكم الله في أهل بيتي)

في الآية الشريفة إشارة إلى هذا المعنى العظيم، دائرة في تأخر الإنسانية، إنه وجود الإنسان غير المناسب في المكان المهم والقيادي والإداري في الحياة، وإليه يشير القرآن في أماكن كثيرة من قبيل قوله تعالى: (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا) (النمل:٥٢)، (فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً) (القصص:٥٨)، (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)(النحل:١١٨).

والإشارة الأخرى التي ذكرها القرآن من خلال الآية الكريمة هي تضييع الصلاة وفيها دلالة على أنهم إذا ضيعوا أهم فرض وهو الصلاة فهم لتضييع غيره من الفروض والطاعات أجدر، وهذا من الأمور المهمة والفاعلة للصلاة في الحياة، وترتب عليها اتباع الشهوات، فوقعوا في غي الدنيا، وغي الآخرة.

تضييع الصلاة:

لأهمية الصلاة في الحياة والدين، جاء التأكيد عليها والحث على إقامتها في القرآن، والسنة ومنهاج أهل البيت عليهم السلام وتتجلى هذه الأهمية من خلال متابعة فقه الصلاة من حيث إقامتها، وعدم إقامتها، فهي شرعاً لا تسقط عن المكلف بحال مرضه حتى لو كان مسجى على فراش المرض، وبه وعي، وقد حل وقت الصلاة فإنه لابد من الصلاة، وهو على الفراش يومئ إلى الركوع بعينيه يغمضها نصف إغماضة، وللسجود بإغماضة كاملة، مع قراءة ذكر كل ركن من أركانها، في وقت لا تجد مثل هذا الحكم في باقي الفرائض، فالصوم يسقط عن المريض ويكون (فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)، والحج (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) والزكاة والجهاد... كلها إنما واجبة في حال القدرة على إتيانها بشكل لا يكون فيه حرج على المكلف.

وحين نحاول معرفة السر في ذلك، فإننا نقف على ذلك من خلال ما ذكره القرآن الكريم للصلاة، فقد ذُكرت الصلاة وأشير إلى الإقامة في أكثر من (٥٠) مرة، مما يشير إلى أهمية الإقامة للصلاة في حياة المجتمع وهي تؤدي غرضها العبادي إلى جانب أغراضها الاجتماعية والخلقية المختلفة.

أهمية الصلاة:

لم يحظ فرض من الفروض كما حظي فرض الصلاة، وهذا واضح من الأحاديث النبوية الشريفة عند النبي وأهل البيت عليهم السلام

جعلت من الصلاة عموداً تتبني عليه كل الفرائض من واجب ومستحب، قال ﷺ: (مَثَلُ الصَّلَاةِ مَثَلُ عَمُودِ الْفُسْطَاطِ إِذَا ثَبَتَ الْعَمُودُ نَفَعَتِ الْأَطْنَابُ وَالْأَوْتَادُ وَالْغِشَاءُ وَإِذَا انْكَسَرَ الْعَمُودُ لَمْ يَنْفَعْ طُنُبٌ وَلَا وَتِدٌ وَلَا غِشَاءٌ)[٢]، ومنه قول علي عليه السلام: (اللّه اللّه فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ)[٣].

علة الصلاة:

أشارت بعض أحاديث أهل البيت عليهم السلام إلى ما يعرف بـ (علة الفرض) أو النافلة، وهي في الحقيقة ليست عللاً حقيقية، إنما هي علل اصطلاحية كما يراها بعض العلماء، أو ما يعرف بـ (مقاصد الشريعة) وقد تضمنت خطبة (الزهراء) عليها السلام جملة من ذلك، وفيها أشارت إلى الصلاة، فقالت: (فَرَضَ اللّه الإيمانَ تَطهيرًا مِنَ الشِّركِ، والصَّلاةَ تَنزيهًا عَنِ الكِبرِ)[٤] وهذه إشارة مهمة لما للصلاة من أثر تخليص الإنسان وَهَم النفس التي تصور لكثير من الناس كبر حجمها، وإنها أعظم مما يراه الآخرون، وهذه نزعة الكبر التي لابد للإنسان أن يتعوذ باللّه منها كل حين كما جاء في دعاء النبي ﷺ: (واجعلني في عيني صغيرًا، وفي أعين الناس كبيرًا)[٥] والسيدة الزهراء عليها السلام ترى أن حالة الكبر التي تطغى على الإنسان في أحيان كثيرة من ساعات يومه، يمكن للصلاة أن تلغيها من حياته، إذا أتى الصلاة بقلب خاشع ونية صادقة، فهي تحمله على أن يقول ويفعل ما ينفي الكبر عنه أمام اللّه، ويخرج بكل ذلك إلى مجتمع قد تضامن على ذلك في عبودية حقه يكون المؤمن فيها عزيزاً بعزة اللّه لا متكبراً ولا ذليلاً.

وثمة أحاديث أخرى تشير إلى علة الصلاة، فقد ورد عن هشام بن الحكم وقد سأل أبا عبد اللّه الصادق عليه السلام عن علة الصلاة فإن فيها مشغلة للناس عن حوائجهم، ومتعبة في أبدانهم؟ قال عليه السلام: (فيها عِلَلٌ، وذلكَ أنَّ النّاسَ لَو تُركوا بغَيرِ تَنبيهٍ ولا تَذكُّرٍ للنَّبيّ ﷺ بأكثَرَ مِنَ الخَبَرِ الأوَّلِ وبَقاءِ الكتابِ في أيديهِم فَقَط لَكانوا عَلى ما كانَ عَلَيهِ الأوَّلونَ، فَإنَّهُم قَد كانُوا اتَّخَذوا دينًا ووَضَعوا كُتُبًا ودَعَوا أُناساً إلى ما هُم عَلَيهِ وقَتَلوهُم عَلى ذلكَ، فَدَرَسَ أمرُهُم وذَهَبَ حينَ ذَهَبوا، وأرادَ اللّه تَبارَكَ وتَعالى أن لا يُنسيَهُم أمرَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَفَرَضَ عَلَيهِمُ الصَّلاةَ يَذكُرونَهُ في كُلِّ يَومٍ خَمسَ مَرّاتٍ يُنادونَ باسمِه، وتَعَبّدوا بالصَّلاةِ وذكرِ اللّه لِكَي لا يَغفُلوا عَنهُ ويَنسَوهُ فَيَندَرِسَ ذِكرُهُ)[٦]، هذا الحديث يضع أيدينا على أهمية الصلاة حيث إنها ذكر للّه ولرسوله، مما يثير في الأذهان سؤال: ما أهمية ذكر النبي ﷺ الذي جعل اللّه وجوب النداء باسمه في الأذان، وذكره في الصلاة والصلاة عليه وبخلافه لا تقبل الصلاة؟

إنه في الحقيقة ترابط وتواصل مع إشراقة النبوة الأولى التي غمرت الكون، فأراد اللّه أن تبقى هذه الأمة مرتبطة بكل معاني الربط مع النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ترابطاً روحياً وأخلاقياً يتبين منه خلال سلوكنا لا أنه مجرد لقلقة لسان، وليس ذكر النبي فحسب، فإنه كثيراً ما كان يشير إلى أنه وأهل بيته عليهم السلام كيان واحد لا يتجزأ، فعليّ عليه السلام نفسه وفاطمة عليها السلام روحه التي بين جنبيه[٧]، والحسن والحسين ولداه، وأخيرًا قال: (حسين مني وأنا من حسين)[٨].

أما الإمام الرضا عليه السلام فإنه يضع بين أيدينا علة أخرى، قال عليه السلام: (إن علة الصلاة أنها إقرار بالربوبية للّه عز وجل وخلع الأنداد، وقيام بين يدي الجبار جل جلاله

بالذل والمسكنة، والخضوع والاعتراف والطلب للإقالة من سالف الذنوب، ووضع الوجه على الأرض كل يوم خمس مرات إعظامًا لله عز وجل وأن يكون ذاكرًا غير ناسٍ ولا بطرٍ ويكون خاشعًا متذللًا راغبًا طالبًا للزيادة في الدين والدنيا.... ويكون في ذكره لربه وقيامه بين يديه زاجرًا له عن المعاصي ومانعًا من أنواع الفساد)[٩].

ومع كل ما ورد فإنه يمكن أن نتبين علة أخرى للصلاة، فهذا النداء الموحد في كل صقع إسلامي منتشر في الأرض يدور عليها كل حين، فيرتفع أذان إما للفجر أو للظهر أو للمغرب، حتى لا تكاد تجد بقعة إلا وفيها ذكر لله.

آثار الصلاة:

لا ريب أن لكل فرضٍ أثره في الإنسان والحياة، وما لم يتحقق واحد من هذين الأثرين فاعلم أنه لا جدوى من كل ما يعمله الفرد مما يسميه طقساً دينياً أو شعائر يحتفي بها ويقدسها، وهذا ملاحظ من خلال ما نشاهده من مظاهر التدين عند غير المسلمين، بل وحتى بعض ذلك بين المسلمين، مما لم ينزله الله ولم يأمر به النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فينبغي للإنسان أن يضمر في داخله هدف ذلك الغرض العبادي الذي يؤديه كل يوم، فكيف يمكن أن نؤمن بتأدية الفرض ما لم نتلمس أثره في الحياة، وهذا ما تضج به الحياة على طول مداها، (كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ولا تقل ما أكثر الحجيج ولكن ما أكثر الضجيج)، مما يؤكد أن هناك الكثير ممن يفعل الفعل من دون أن يراعي الممارسة الروية أولاً، وجني ثمرة ذلك العمل ثانيًا.

ثمرة الصلاة:

قال تعالى: (**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**) وقال صلى الله عليه وآله: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً)[١٠].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (اعلم أن الصلاة حجزة الله في الأرض، فمن أحب أن يعلم ما يدرك من نفع صلاته فلينظر، فإن كانت صلاته قد حجزته عن الفواحش والمنكر، فإنما أدرك من نفعها بقدر ما احتجز)[١١]، وقول النبي صلى الله عليه وآله: (لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر)[١٢].

(**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**) لا يعني بالضرورة أن الإنسان إذا صلى انقطع عن الفحشاء والمنكر، فما أكثر من رأيناه في حالة يرثى لها من مداومة على صلاة وإقامة على سيئات، فماذا يعني ذلك؟

إن القرآن ومن خلال الآية آنفة الذكر يريد أن يوقظ المسؤولية في نفس المصلي من خلال تلاوة قرارات وقوانين الصلاة، فكأنها تخاطب الإنسان المسلم أنك أيها المصلي إنَّ ما قدمت عليه من فعل تقصد به القربة ونيل الحظوة عند الله، إنما تصل إلى ذلك بعد تأدية صلاتك التي لا يقبلها الله من مقيم على الفحشاء وفاعل للمنكر، فكن على حذر، أن تصنع شيئاً ينافي شروط القبول، وأظهر شروط قبول الصلاة هو أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهما معنيان جامعان لك ما ينافي الخلق والكرامة للفرد والمجتمع المسلم.

فوائد الصلاة:

للصلاة فوائد كثيرة يمكن إيجازها بما يأتي:

١ـ كفارة لما قبلها، فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: (إذا قام العبد إلى الصلاة فكأن هواه وقلبه إلى الله تعالى انصرف كيوم ولدته أمه)[١٣]. وعن الصادق عليه السلام: (لو كان على باب أحدكم نهر فاغتسل منه كل يوم خمس مرات هل كان يبقى على جسده من الدرن شيء ؟ إنما مثل الصلاة مثل النهر الذي ينقي كلما صلى صلاة كان كفارة لذنوبه إلا ذنب أخرجه من الإيمان مقيم عليه)[١٤].

٢ـ منهل من مناهل البر، وما يؤيد ذلك قول أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (للمصلي ثلاث خصال : يتناثر عليه البر من أعنان السماء إلى مفرق رأسه، وتحف به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء، وملك يناديه : أيها المصلي، لو تعلم من تناجي ومن ينظر إليك، وما التفت ولا زلت عن موضعك أبدًا)[١٥].

٣ـ إنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، بدليل قوله تعالى: (**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**) فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل، فقال: (إن صلاته لتردعه)[١٦].

قبول الصلاة:

في كل عمل يعمله الإنسان في الحياة جنبة قبول تنبني على أساس وشروط، إذا أتى بها الإنسان كان عمله في محل القبول والرضا، وإن تخلف واحد من تلك الشروط كان هناك الخلل الشائن الذي يعيب ذلك العمل، وبما أن الصلاة خير موضوع كما نص النبي صلى الله عليه وآله على ذلك وأنها إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردّت ردّ ما سواها، وإنها أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، كان لزاماً على المصلي أن يعرف كل ما يتصل بها. مجاهداً نفسه الأخذ بذلك، والعناية به، والصبر عليه، قربة إلى الله تعالى، طلباً لنيل الأجر والزلفى، وقد نصت الروايات على بعض تلك الشروط، ومنها:

الورع:

وهو أساس كل عمل لأنه لا تؤتي الأعمال مؤداها في حياة الإنسان ما لم يكن عنده ورع حاجز، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (لو صليتم حتى تكونوا كالأوتار، وصمتم حتى تكونوا كالحنايا لم يقبل منكم إلا بورع)[١٧].

ردّ المظالم:

ولذلك تبعات كثير منها عدم قبول العمل، وكون الإنسان الظالم في لعنة الله حتى يخرج من تلك المظالم (**أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**)، فقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله هذا الأمر بقوله: (أوحى الله إليّ أن يا أخا المرسلين، يا أخا المنذرين، أنذر قومك لا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عندهم مظلمة، فإني ألعنه ما دام قائماً يصلي بين يدي حتى يرد المظلمة)[١٨].

الكسب الحلال:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (انظر فيم تصلي وعلى ما تصلي، إن لم تكن من وجهه وحله فلا قبول)[١٩]، وهذا ما يتطرق إليه الفقهاء في باب (لباس المصلي)، وأن الذي يصلي بثوب مغصوب، أو على أرض مغصوبة فإن ذلك غير مقبول إذا علم المصلي ذلك.

خيانة الأمانة:

أوحى الله إلى داود: (كم من ركعة طويلة فيها بكاء بخشية قد صلاها صاحبها، لا تساوي عندي فتيلاً، حين نظرت في قلبه فوجدته إن سلّم من الصلاة، وبرزت امرأة، وعرضت عليه نفسها أجابها، وإن عامله مؤمن خانه)[٢٠] وهذا يفيدنا علماً بأن

المصلي حقاً هو من استوفى أمانة الصلاة، فطبع بها كل عمله في حياته.

الاستخفاف بالصلاة:

قال صادق آل محمدعليه السلام: (واللّه إنَّه لَيَأْتي عَلَى الرَّجُلِ خَمْسُونَ سَنَةً ومَا قَبَلَ اللّهَ منْه صَلاَةً وَاحدَةً فَأَيُّ شَيْء أَشَدُّ منْ هَذَا واللّه إنَّكُمْ لَتَعْرفُونَ منْ جيرَانكُمْ وأَصْحَابكُمْ مَنْ لَوْ كَانَ يُصَلِّي لبَعْضكُمْ مَا قَبلَهَا منْه لاسْتخْفَافه بهَا إنَّ اللّه عَزَّ وجَلَّ لاَ يَقْبَلُ إلَّا الْحَسَنَ فَكَيْفَ يَقْبَلُ مَا يُسْتَخَفُّ به)[٢١].

عقوق الوالدين:

وهو من الكبائر المنصوص عليها، وأوعد اللّه على ذلك عقاباً دنيوياً وأخروياً، وحال العاق مع الصلاة حال المستخف أو أكثر فقد ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال: (مَنْ نَظَرَ إلَى أَبَوَيْه نَظَرَ مَاقت وهُمَا ظَالمَان لَه لَمْ يَقْبَلِ اللّه لَه صَلاَة)[٢٢] هذا حال من نظر وهما ظالمان!!، فكيف حال من تجاوز بشتم وضرب ونحو ذلك؟.

مسك الختام:

كان يوم الطف مدرسة للعقيدة والأخلاق، وفيها تجلت معاني الصلاة قال الشاعر:

من بعد أن قضوا الصلاة
قضوا فداءً للصلاة

فلما اشتد القتال وبدا النقص واضحًا في أصحاب الحسينعليه السلام، جاء أبو ثمامة الصيداوي مخاطبًا الحسين عليه السلام : يا أبا عبد اللّه نفسي لنفسك الفداء، هؤلاء اقتربوا منك، ولا واللّه لا تقتل حتى أقتل دونك، وأحب أن ألقى اللّه ربي وقد صليت هذه الصلاة، فرفع الحسينعليه السلام رأسه إلى السماء وقال : ذكرت الصلاة جعلك اللّه من المصلين، نعم هذا أول وقتها ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي[٢٣]. فصلىعليه السلام بأصحابه صلاة الخوف.

حتى إذا أسفت علوج أمية
ألّا ترى قلب النبي مصابا
صلّت على جسد الحسين سيوفهم
فغدا لساجدة الظبا محرابا■

---

(١) روي حديث الثقلين بطرق عديدة جدًا وبصيغ مختلفة، راجع مسند أحمد بن حنبل: ج ٣ / ١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩، وصحيح مسلم: ج ٤ / ١٨٧٤ ح ٣٧، وسنن الترمذي ج ٥ / ٦٦٢ و ٦٦٣ح ٣٧٨٦، وكنز العمال: ج ١٣ / ١٠٤ ح ٣٦٣٤٠.

(٢) فروع الكافي/للكليني ج٣: ص٢٦٦.

(٣) نهج البلاغة/ ج٣ ص٧٧.

(٤) من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق/ج٣ ص٥٦٨.

(٥) كنز العمال/المتقي الهندي/ج٢: ٣٦٧٥.

(٦) علل الشرايع/الشيخ الصدوق/ج٢ ص٣١٧.

(٧) أمالي الصدوق/ص١٧٥.

(٨) أوائل المقالات/الشيخ المفيد/ص١٧٨.

(٩) علل الشرايع/الشيخ الصدوق/ج٢ص٣١٧.

(١٠) البحار: ٨٢: ١٩٨.

(١١) معاني الأخبار/الشيخ الصدوق/ص٢٢٧.

(١٢) البحار ٧٩: ١٩٨.

(١٣) البحار/ج٨١ص٢٦١.

(١٤) البحار/ ٧٩: ٢٣٦.

(١٥) الهداية/الشيخ الصدوق/ص١٢٦.

(١٦) البحار/٧٩: ١٩٨.

(١٧) البحار: ٨٤: ٢٥٨.

(١٨) البحار/ ٨٤: ٢٥٧.

(١٩) البحار/ج٨١ص٢٣٠.

(٢٠) البحار/ ١٤: ٤٣.

(٢١) الكافي/للكليني/ج٣ص٢٦٩.

(٢٢) الكافي للكليني/ج٢ ص٣٤٩.

(٢٣) البحار/ج٤٥ ص٢١.

آمن الرسول

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ

أ.مسلم مصارع علوان
رئاسة جامعة ذي قار

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة ١٨٣)

يعتبر الصوم من العبادات الشريفة التي امتازت عما سواها باهتمام كبير من الشارع المقدس، وتدل الآية الشريفة المتقدمة على أن الصيام ليس هو فرض جديد على أمة الإسلام خاصة بل إن هذا الفرض كان مشرعًا على الأمم من قبل، وجاء في تفسير الميزان: (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، أي لا ينبغي لكم أن تستثقلوه وتستوحشوا من تشريعه في حقكم وكتابته عليكم فليس هذا الحكم بمقصور عليكم بل هو حكم مجعول في حق الأمم السابقة عليكم ولستم أنتم متفردين فيه، على أن في العمل بهذا الحكم رجاء ما تبتغون وتطلبونه بإيمانكم وهو التقوى التي هي خير زاد لمن آمن بالله واليوم الآخر)[١]، (والمراد بالذين من قبلكم، الأمم السابقة من المليين في الجملة، ولم يعين القرآن من هم، غير أن ظاهر قوله: كما كتب، أن هؤلاء من أهل الملة وقد فرض عليهم ذلك، ولا يوجد في التوراة والإنجيل الموجودين عند اليهود والنصارى ما يدل على وجوب الصوم وفرضه، بل الكتابان إنما يمدحانه ويعظمان أمره، لكنهم يصومون أيامًا معدودة في السنة إلى اليوم بأشكال مختلفة: كالصوم عن اللحم والصوم عن اللبن والصوم عن الأكل والشرب، وفي القرآن قصة صوم زكريا عن الكلام وكذا صوم مريم عن الكلام)[٢].

ويعتبر الصوم في شريعتنا من الأركان التي بني عليها الإسلام والأعمدة الخمسة له باعتباره العبادة الوحيدة التي وردت في الكثير من الأحاديث الشريفة، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، والولاية)[٣].

(والصيام والصوم في اللغة مصدران بمعنى الكف عن الفعل: كالصيام عن الأكل والشرب والمباشرة والكلام والمشي وغير ذلك، وربما يقال: إنه الكف عما تشتهيه النفس وتتوق إليه خاصة ثم غلب استعماله في الشرع في الكف عن أمور مخصوصة، من طلوع الفجر إلى المغرب بالنية)[٤]. وقد ذكرت الآية غاية الصوم في عبارة قليلة الألفاظ والكلمات ولكنها عميقة المحتوى، تقول الآية (**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) أي فرض عليكم الصوم رجاء أن تتقوا ومن أجل أن تحصلوا على التقوى . والتقوى هي عبارة عن ملكة نفسانية توجب قدرة النفس الإنسانية على امتثال ما أمر الله به، والابتعاد عما نهى الله عنه من المعاصي والذنوب. وهناك خطبة لسيد البلغاء والمتكلمين أمير المؤمنين عليه السلام في حثه على السعي لما يوجب التقوى قال فيها : (أوصيكُمْ عِبَادَ اللّه بِتَقْوَى اللّه وطَاعَته فَإنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا والْمَنْجَاةُ أَبَداً... وبعد أن ذكر الدنيا ورهب من الإقبال عليها.... قال: فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللّه حَذَرَ الْغَالب لنَفْسه الْمَانع لشَهْوَته النَّاظر بعَقْله فَإنَّ الأَمْرَ وَاضحٌ والْعَلَمَ قَائمٌ والطَّرِيقَ جَدَدٌ والسَّبِيلَ قَصْدٌ)[٥].

وبتعبير آخر: من يمارس الصوم ويمنع نفسه عن الأكل والشرب وسائر اللذات المادية التي أباحها الله، يتدرب على اتقاء المحرمات واجتنابها وتتربى نفسه وإرادته على الامتناع عن المعاصي والذنوب، لأن من يستجب لأمر الله ويمتنع عن شهوات النفس المباحة كالأكل والشرب وغيره ويطع الله في الكف عن ذلك فإنه سوف

يكون أكثر طاعة واستجابة لله في الكف عن المحرمات التي نهى الله عنها والتي لها بكل تأكيد أثر تقوائي ومردود إيجابي نافع في الدنيا والآخرة . إذ إن الصوم يؤثر في الإنسان من جهتين : فهو يربي في الإنسان الإرادة القوية التي تجعله قادرًا على الامتناع عن المعصية ومخالفة أوامر الله ونواهيه من جهة، ومن جهة أخرى ينمي في الإنسان الإحساس بوجود الله والشعور برقابة الله عليه.

علة الصيام:

لقد أجمل الإمام الصادق عليه السلام الجواب حين سئل عن علة الصيام، فقال: (العلة في الصيام ليستوي به الفقير والغني وذلك لأن الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير لأن الغني كلما أراد شيئا قدرعليه فأراد الله أن يسوي بين خلقه وأن يذيق الغني مس الجوع والألم ليرق على الضعيف ويرحم الجائع)[٦].

فوائد الصوم:

اعتنى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالصوم وبيَّنا أهميته لما له من فوائد عظيمة وآثار إيجابية على الفرد والمجتمع، ولما له من فوائد لصحة الأبدان والأذهان، وقد جاء في الحديث الشريف (صوموا تصحوا)، فالصوم هو الفريضة الوحيدة التي صرح القرآن بأنها مكتوبة على الخلق أجمعين قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) (البقرة ١٨٣)

ويعتبر أيضا من أهم الأعمال في مجاهدة النفس وتنمية القوى الروحية فالجوع والعطش والامتناع عن مطلق الملذات والاقتصار على القليل منها يجعل الإنسان في حل وعتق من عبوديتها[٧].

لذلك ترى رسول الرحمة صلى الله عليه وآله يحث على الاهتمام بهذه الفريضة المباركة في خطبته المشهورة عندما أقبل شهر رمضان : (أيها النّاس إنّه قَدْ أقبل إليكم شَهرُ اللّه بالبركة والرحمة والمغفرة شَهر هُوَ عندَ اللّه أفضلَ الشهور وأيامه أفضلُ الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات، هُوَ شَهر دعيتم فيه إلى ضيافة اللّه وجُعلتم فيه من أهْل كرامة اللّه. أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعمَلكم فيه مقبُول ودعاؤكم فيه مستجاب)[٨].

للصوم أيضًا فوائد اجتماعية جمة منها تربية الأمة على المساواة وترسيخ مفهوم الوحدة وتأهيلها إلى مفهوم التضامن الاجتماعي من حيث الرعاية والعناية الرمضانية والتواصل الفريد الذي يتميز عن غيره من أيام السنة ، وإطفاء نائرة الفتن نتيجة التواصل الإيماني وتقوية الروابط من خلال الاجتماعات الرمضانية التي من شأنها رفع مستوى الوعي الاجتماعي[٩].

ويعتبر الصوم أيضًا من العبادات التي تؤدي إلى كسر النفس عن شهواتها وتحطيم أصنامها ومنعها عن ملذاتها التي اعتادت عليها، فلربما تكون بحاجة إلى هذا الامتناع في وقت جهاد أو غيره ولا تستطيع مؤهلاتها أن تلبي لها هذه الحاجة فهي في الصوم قد أخذت تمرينا على ذلك ، وكون أن الشبع يقوي الشهوات ويكون داعيًا إلى الملذات فيكون بذلك باب من أبواب الشيطان الكبيرة وأسلحته الفتاكة التي يصطاد بها الإنسان[١٠].

هذا وقد قال تعالى: (**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) (البقرة ١٨٤)، والذي يخبر الله تعالى عنه أن فيه خيرًا،

لا ينبغي على العاقل الأريب أن يجعل هذا الإخبار أو هذه الفرصة وراء ظهره، بل يجب استثمار أيامه ولياليه باعتباره محطة من محطات الله للتزود بما ينفع الإنسان للدنيا والآخرة■

(١) تفسير الميزان/السيد الطباطبائي/ج٢ ص٥.
(٢) م.ن/ج٢ ص٧.
(٣) منتهى المطلب/العلامة الحلي/ج٩ص١٣
(٤) تفسير الميزان/السيد الطباطبائي/ج٢ ص٧.
(٥) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٢٣١.
(٦) علل الشرايع/الشيخ الصدوق/ج٢ص٣٧٨.
(٧) عدة الداعي لأبن فهد الحلي ـ ص٧٤.
(٨) بحار الأنوار ج٩٦ ص٣٤٢.
(٩) ينظر أسرار الصوم في المدرسة القرآنية ـ محمد الفضلي /وكتاب فوائد الصوم عز الدين السلمي / ط ١٩٩٢.
(١٠) قراءة في مقامات القلب ـ العلامة الفيض الكاشاني.

فضل شهر رمضان

كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أهل هلال شهر رمضان أقبل إلى القبلة وقال : اللهم ! أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية المجللة ، اللهم ارزقنا صيامه وقيامه وتلاوة القرآن فيه، اللهم ! سلمه لنا وتسلمه منا وسلمنا فيه .

(مصباح المتهجد/ الشيخ الطوسي ص٥٤١)

روي عن الإمام جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أفطر قال: اللهم! لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبله منا، ذهب الظمأ وابتلت العروق وبقي الأجر .

(مصباح المتهجد/ الشيخ الطوسي ص٦٢٥)

وقَالَ أمير المؤمنين عليه السلام فِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ: إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ الله صِيَامَه وشَكَرَ قِيَامَه - وكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى الله فِيه فَهُوَ عِيدٌ .

(نهج البلاغة ص٥٥١)

وقال الإمام الصادق عليه السلام: من لم يغفر له في شهر رمضان لم يغفر له إلى قابل، إلا أن يشهد عرفة .

وقال عليه السلام :إن أبواب السماء لتفتح في شهر رمضان، وتصفد فيه الشياطين، وتقبل فيه أعمال المؤمنين، نعم الشهر، كان يسمى على عهد رسول الله المرزوق .

(المقنعة/ الشيخ المفيد/ ص٣٠٩)

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: لو تمضمض وهو صائم لوضوء الفريضة، فسبقه الماء، فهل يجب عليه القضاء، وهل أن لفظ الفريضة يعم القضائية أيضًا؟

ج: الأحوط وجوبًا عدم التعدي لذلك.

س: ما حكم الصائم الذي يرتكب بعض المفطرات لا عن عمد؛ بل جاهل بهذه الأمور، فهل تترتب عليه كفارة مع القضاء؟

ج: إذا وقع المفطر غفلة أو قصرًا من دون قصد لم يبطل الصوم، وأما إذا كان عن جهل بكونه مفطرًا فالأحوط استحبابًا القضاء ولا كفارة، أما إذا كان عالمًا بكونه مفطرًا ولكنه جاهل بأنه عليه الكفارة فيجب عليه القضاء والكفارة معاً.

س: أجنب شخص في شهر رمضان ولكنه لا يعلم بالجنابة إلّا بعد مرور أسبوع مثلاً، وفحص ملابسه وشك بأن الموجود على ملابسه الداخلية مني من أثر جنابة لا يعلم بها، ولكن الموجود على الملابس مني له جرم سميك، فماذا يعمل، وما هو تكليفه؟

ج إذا كان لا يعلم بالجنابة فلا يجب عليه شيء، وإذا علم بأنه جنابة وجب عليه الغسل وقضاء الصلاة، أما الصوم فهو صحيح ولا يجب قضاؤه.

س ذكر في العروة الوثقى: (ويجب الإمساك من باب المقدمة في جزء من الليل في كلّ من الطرفين)، فهل يعني صاحب العروة أن من ترك هذا الواجب يأثم؟

ج يقصد من ذلك أن المكلف لابد له أن يحرز تحقق صيام اليوم كله من أوله إلى آخره، ولا يتحقق العلم المذكور إلّا بالإمساك في جزء من الليل.

س ما حكم تنظيف الأسنان بواسطة الفرشاة والمعجون، خصوصًا إذا كان يخرج الفرشاة خارج الفم (٤ إلى ٥ مرات) ويدخلها؟

ج إذا أدى ذلك إلى تعمد ابتلاع بعض المعجون تحقق الإفطار، والأولى تجنب ذلك حفاظًا على الصوم.

س ذكرتم حكم من أكره زوجته على الجماع في (المسألة: ٥٤و ٥٥ ، من المنهاج، ج ٣) فهل أن هذا الإكراه يوجب بطلان صوم الزوجة؟ وماذا إذا كان الإكراه بنحو الجبر والقسر بحيث لا يكون للزوجة أي اختيار؟

ج إذا وقع الجماع في حال تكون الزوجة فاقدة للاختيار فلا يبطل صيامها وإذا تحقق الإكراه مع الاختيار فيبطل صومها.

س هل يجوز تقديم الطعام أو الشراب للكافر في نهار الصوم؟

ج نفس تقديم الطعام والشراب جائز في نفسه إلا أن يُستلزَمَ منه عنوان ثانوي مُحرَّم مثل هتك حرمة الشهر أو التزلف والتملق ونحو ذلك من عناوين .

س ذكرتم في (المنهاج: ج ١، ص ٣٥٤، مسألة ٤٥، ط٨) أن من بطل صومه في شهر رمضان يجب عليه الإمساك بقية النهار، ولا شك أنه لا يشمل المسافر سفرًا يوجب الإفطار، ويشمل من تعمد الإفطار بدون عذر، لكن هل يشمل من أفطر بعذر كالمضطر للتقيؤ أو من أُغمي عليه قهرًا أو من أُغمي عليه بالتخدير لإجراء عملية ضرورية وغير ذلك؟

ج لا يشمل الحكم المذكور من اضطر للتقيؤ إذ ينكشف عدم تكليفه بالصوم بالاضطرار إلى المفطر، وأما من أُغمي عليه أو من كان تحت التخدير، فبطلان صومه مبنيٌّ على الاحتياط، وعليه فاللازم عليه الإمساك وإكمال الصوم احتياطًا والقضاء فيما بعد.

س: إذا أفطرت المرأة في نهار شهر رمضان عمدًا ثم حاضت، فهل تجب عليها الكفارة أو ينكشف عدم الوجوب أصلاً وعليها التوبة من التجري فقط؟

ج نعم تجب عليها الكفارة.

س هل يجوز أن ينذر الصوم الواجب في السفر مثل صوم القضاء الواجب عليه عن نفسه أو عن غيره ونحوهما من الصوم الواجب في غير شهر رمضان؟

ج لا يجوز .

س كنت حائضة ليلاً، ونمت بعد صلاة العشاء، إلا أنني استيقظت بعد الفجر، فوجدت أن الدم قد انقطع، ولكني لا أعرف هل انقطع قبل الفجر أو بعده، هل يجب علي الإمساك هذا اليوم وقضاؤه فيما بعد أم ماذا؟

ج لا يجب عليها الصيام والأحوط استحبابًا الإمساك والواجب القضاء فيما بعد .

س نويت السفر، وحينما قطعت حد الترخص أكلت، إلا أنه بدا لي أن أرجع إلى وطني، فهل يجب عليَّ الإمساك بقية النهار كما استفيد من المنهاج (ج ١ ، ص ٣٤٢ ، م ٤٥) أم لا؟

ج الأحوط وجوبًا الإمساك والقضاء والمسألة مذكورة في المنهاج (صلاة المسافر: م ٥٦٥، ط٨).

س إذا كان الصوم مضرًّا بالعمل بحيث يؤثر في معيشته اللائقة بحاله من طعام أو لباس ونحوها، فهل يجب عليه الصوم أم لا؟

ج إذا أمكن تهيئة المعاش بدون العمل باستيهاب أو دين أو غيرهما من دون حرج وجب ذلك وإذا لم يكن ذلك جاز الإفطار. (الجواب موجود في الرسالة).

س إذا كان على المكلف صوم واجب، كقضاء شهر رمضان أو كفارة أو نذر غير معين، فهل يشرع له وهو مسافر سفر يوجب القصر أن ينذر الإتيان بما عليه من الصوم المذكور في ذلك السفر؟

ج لا يشرع له ذلك.

س أ ـ امرأة عليها صيام واجب لقضاء شهر رمضان، وترغب في قضاء تلك الأيام أثناء سفرها، فهل يجوز لها أن تنذر لقضاء ذلك الصوم حتى لو كانت في السفر؟

ب ـ بالنسبة للمسافر في شهر رمضان ولم ينوِ الإقامة، هل يجوز له النذر لقضاء ما عليه، فيصوم في السفر للوفاء بما في ذمته؟

ج لا يصح النذر في الحالتين.

س لو سافر الصائم جوًّا بعد الغروب والإفطار في بلده في شهر رمضان إلى جهة الغرب، فوصل إلى مكان لم تغرب الشمس فيه بعد، فهل يجب عليه الإمساك إلى الغروب؟

ج لا يجب الإمساك حتى لو كان البلد الثاني وطنًا له، فضلاً عما إذا كان مسافرًا فيه.

س إذا أفطرت المرأة في شهر رمضان لعذر، ثم مرّ عليها أكثر من سنة، ثم شكّت أنها قضت في أثناء السنة، فهل تثبت عليها الفدية؟

ج لا يجب عليها ظاهرًا القضاء ولا الفدية، لأن الوقت الأصلي للقضاء هو قبل مجيء شهر رمضان الثاني، فإذا مضى الوقت وشكت في القضاء لم تَعتنِ بالشك، لعدم الاعتناء بالشك بعد مضي الوقت، نعم لو انكشف عدم القضاء وجب القضاء والفدية معًا.

س أنا لا أصوم لمرض دائم الفدية، هل يجوز أن تكون من اللحمة والدجاجة أم فقط يجب أن أعطي الفقراء طحينًا وحبوبًا.

ج لا يكفي اللحم والدجاج بل لابد من كونه من الطعام كالطحين والتمر ونحوهما.

س هل يصح أن أصوم يومًا صومًا مستحبًّا نيابةً عن جدي وجدتي، يعني يكون نفس اليوم عن جدتي وجدي، ولكنه صوم مستحب لا قضاء عنهما؟

ج يصح .

المنصف الحامدي

حكاية مستبصر

مولده ونشأته: ولد عام ١٩٦٦م بمدينة (سيدي خليف) في دولة تونس، من أسرة تعتنق المذهب المالكي، واصل دراسته الأكاديمية حتى نال شهادة الدبلوم في الهندسة الميكانيكية، ثم شغل منصب رئيس قسم الدراسات لهذا الفرع، تشرف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٨٤م في مدينة (سيدي بو زيد) التونسية.

البحث الجاد والمعمّق: كان دأب الأخ منصف التساؤل والبحث والاستفهام لاسيما في الأمور العقائدية والفكرية، وكان من جملة التساؤلات التي كان البحث عنها ذا تأثير كبير في صياغة مرتكزاتي العقائدية الجديدة هو الحديث المشهور المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أمته تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّهم في النار إلاّ فرقة واحدة، ومن هذا الحديث انطلقت نحو البحث والتتبع، لعلّي أصل إلى معرفة هذه الفرقة الناجية، وقد كنت مهتمّاً لإيماني أنّ عدم معرفة هذه الفرقة يعني الهلاك في النار، لذلك انطلقت في البحث بعزيمة قويّة وإصرار لكي أصل إلى النتيجة بعون الله سبحانه وتعالى، وكان لابد لي: من معرفة أسباب وتاريخ حدوث الفرقة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنها تمثّل لي معرفة جذور الانحراف التي منها تتبين معالم الفرق الضالة بعد معرفة أسباب نشأتها ودوافع ظهورها في الساحة الإسلامية.

أنّ أهم الأسباب والدوافع التي كان لها الأثر الكبير في إحداث الفرق ونشوء المذاهب رزيّة يوم الخميس، وهي الحادثة التي وقعت في أواخر حياة رسول الله صلى الله عليه وآله التي كان لها بالغ الأثر في نشوء الاختلاف والفرقة بين المسلمين، وقد ذكر هذه الحادثة كل من كتب التاريخ ودون الحديث كالبخاري ومسلم وأحمد وغيرهم بأحاديث صحيحة: فأخرج البخاري، عن ابن عباس، قال: (لما اشتد بالنبيّ صلى الله عليه وآله وجعه، قال: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)، قال عمر: أن النبيّ صلى الله عليه وآله غلبه الوجع،

وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال: (قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع)، فخرج ابن عباس يقول: (إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول اللهﷺ وبين كتابه)، وعنه أيضاً بسنده، عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: (يوم الخميس، وما يوم الخميس!! اشتد برسول اللهﷺ وجعه، فقال: (ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)ـ فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع ـ فقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه، فذهبوا يردون عليه، فقال: (دعوني ، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه).

مما يلاحظ في هذا الحديث من قوله:ﷺ (ائتوني بكتاب) لم يكن الأمر للإرشاد وإنما هو دال على الوجوب. والله يقول: **(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)** (الأحزاب:٣٦).

والحقيقة إن الذين منعوا الرسولﷺ من كتابة ذلك الكتاب لم يفعلوا ذلك إلا لأنّهم علموا أنّ الرسول يريد أن يؤكد استخلاف عليّ بن أبي طالب من بعده، ولأنه سبق لرسول اللهﷺ: إن قال : (إنّي مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً)، وقالﷺ: في مرضه: (هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)، وكان سبب وقوع كل هذا الكم الهائل من التشتت والتمزق في الساحة الإسلامية هو عدم تلبية أولئك الصحابة في قبول من يعصم الأمة من الوقوع في الضلال.

يقول الأخ منصف: وهكذا بدأت تتجلى لي بوضوح أسباب نشأة الفرق في الإسلام.

ويضيف: خلال مطالعتي للأحاديث النبوية الشريفة قرأت قوله:ﷺ (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)، دفعني ذلك لمعرفة إمام زماني ، فطالعت جملة من كتب الفريقين حتى تجلّت لي حقيقة وجود الإمام المهديعليه السلام بوضوح .

وبمرور الزمان اكتملت صورة مذهب أهل البيتعليهم السلام في ذهني، فعرفت أنّ الإمام الذي جعله الله بلطفه حجّة على العباد، ولهذا بذلت غاية جهدي لأعيش حالة الاتصال الدائم بالله، وأظن أن هذا الرصيد المعنوي هو الذي مكنني للاهتداء والاستبصار، والذي جعلني متمكناً من التغلب على جميع الموانع التي اعترتني في هذا الطريق.

نقل بتصرف من:

(موسوعة من حياة المستبصرين/مركز الابحاث العقائدية ج١ ص٤٩٥)

حسنٌ فَديتُكَ سَيدي

الدكتور فاضل منجي شكر

وَهَجَتْ فَشَعَّ سِراجُها فتنوَّروا ... وَبَهَتْ فَعَمَّ بهاؤها المتناثرُ

فَلَقَتْ فهزَّ فضاءَها سُكّانُها ... فَدنا وَحَلَّ بشيرُها المتفاخرُ

حتى إذا سَطَع الضياءُ على الثرى ... هَبَطَ الحبيبُ حبيبهُ إذْ يَأمَرُ

قدْ شاءَ ربُّكَ زيجةً قدْ تُسحِرُ ... قُمْ زوِّجِ النورينِ لا تتأخّرُ

مَنْ ذا هُما هَمَسوا فقيل هما هما ... هذا وَيا (زهراءُ) كفْؤُكِ «حيدرُ»

لكنَّ (حيدرةً) نزيرٌ .. مالُهُ ... فابتاعَ دِرْعاً مارَهُ فتماهرُ

لم ترضَ (فاطمةُ البتولُ) بِمَهرِها ... إلّا بِصَكَّ شَفاعةٍ فتبصَّرُوا

فَرِحٌ (أبو الزهراءَ) رغم هُمُومِهِ ... قدْ سرَّه أنَّ الحصيلةَ «شُبَّرُ»

* * *

«حسنٌ» فديتك سيدي ما ضرَّ ... ني في الكائناتِ صَغائرٌ وكَبائرُ

يا رابعاً أهلَّ الكِساءِ متى الود ... يعةُ ردَّها حَقٌّ لأحمدَ مأجرُ

وُلِدَ النقيُّ وَريثَ جَدِّهِ مُبْهِراً ... كُلَّ العقولِ فكبِّروا وتباشَروا

وتَفتَّحتْ كُلُّ الورودِ يَزيدُها ... عِطرُ الوليدِ فَعِطرُهُ مُتطايرُ

والعِطرُ ذا مِسْكُ الجِنانِ فيا تُرى ... في الخَلقِ هل يُرجى القَرينُ فَيَظهرُ
إلّا «شبيرٌ» ذاك خامسُ أهلِهِ ... مِمَنْ قضى «الرحمنُ» أنْ يَتَطَهَّروا

* * *

راحَتْ ملائِكةُ السماءِ لِمهْدِهِ ... هَزّاً وَرَفَّ جناحُها المُتزاهِرُ
وتهازجتْ وتمارَحَتْ وتعاهَدَتْ ... في كلِّ عامٍ حفلُهُ يَتكررُ
لكنما أسفي على قومي وما ... قدْ بَيَّتوا للسّبطِ، شَحَّ المصدرُ
هل كان في كنف الرجال مُعزّزاً ... أمْ ما رأيناه فبئس المعشرُ
هلّا سَمِعْتُمْ مَنْ تَساءَل حاسداً ... سبطيه «خيرُ جمالها» إذْ أكبروا
فأجابَه «طه» الأمينُ بقولِهِ ... خير الذين حملْتُهم لا تنفِروا

* * *

صمتوا ورُدَّ جميلهُ في سَمِّهِ ... وهُنا بَدا بَعْضُ الصحابةِ يَغدِرُ
فبهمْ وذاك الفعلُ ضاعَ سُمُوُّنا ... ولِجهلِهِمْ لم يُدْرِكوا ما دبَّروا
مَضَتِ السُنونُ قصيرةً ياسادتي ... لكنما جَنْيُ النتائج أخطرُ
تاللهِ لو فقهوا لكان خَيارهم ... ما اختارهُ الربُّ الحكيمُ الأكبرُ
وهنا سنأكلُ قالها «سلمان» من ... فوق الرؤوسِ وكنز أرضي مُذخرُ

واحة الأدب

التوظيف التاريخي في مفارقات الإمام الحسن عليه السلام

أ.م.د. عباس علي الفحام
جامعة الكوفة . كلية التربية الأساس

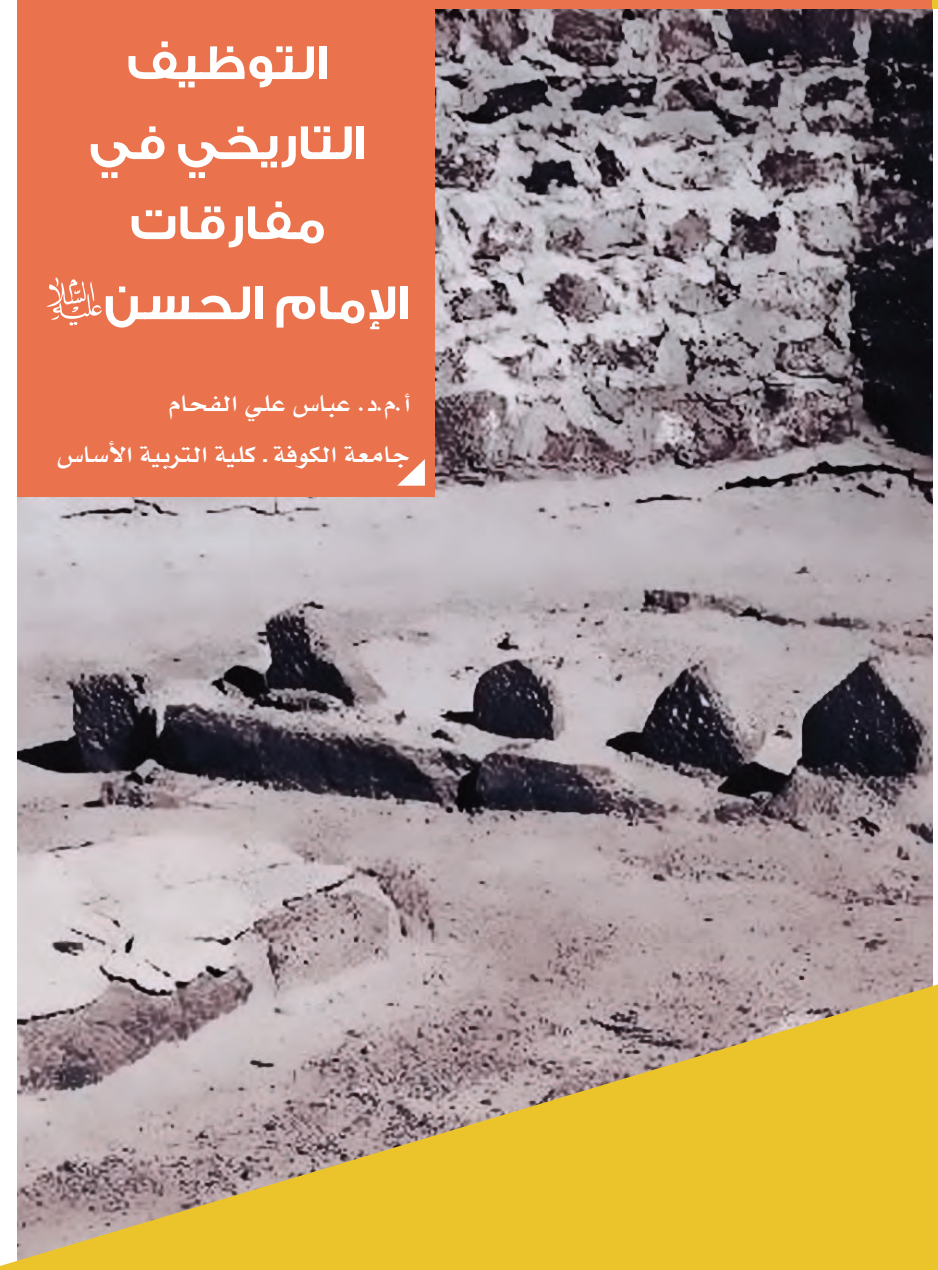

تعني المفارقة في اللغة: المباعدة والمباينة[١]، بينما هي في الاصطلاح تعني جملة من المعاني التي يصعب تحديدها، فهي مصطلح نقدي غربي متراكم الدلالات، ولكنه على الجملة لغة داخل لغة تقدم منجزًا يستبطن السخرية والتحقير ممتزجين بمرارة نفسية كبيرة، وأحيانا تذيل بخاتمة تلخص حدثًا هائلًا، وهي تثير دهشة القارئ أو السامع لما تحمل من مفاجآت غير متوقعة بعضها ظاهرُه مديح وباطنه هجاء لاذع، وبعضها الآخر صريح، ولكنّه يحمل مجموعة من تناقضات الأضداد بين المفردات والجمل لعقد مقارنات غاية في التناقض لإظهار معنى عميق يصعب الكشف عنه بغير هذه الطريق أو لأنه يحمل تاريخًا عريضًا يعسر سرده بغير استعمال لغة مفارقة التناقض. والمفارقة بهذا المعنى أسلوب جديد في التعبيرتجاوز التعريف القديم له (قول شيء والإيحاء بنقيضه) إلى مفهومات أخرى كثيرة، منها مثلاً أن المفارقة هيقول شيء بطريقة تستفز عددًا لا نهائيًا من التأويلات المختلفة. وبهذا المفهوم تستعمل لغة المفارقة إمكانيات بيانية عميقة لأداء المعنى الخفي أو الواسع الدلالة ويمكن أن تكون أدواتها الاستعارة والتشبيه والكناية والمجاز عمومًا والجناس، بل ذهب جملة من النقاد الغربيين إلى أن كل سياق أدبي هو سياق ذو مفارقة[٢]، لأنه يقوم بمنح خصوصية لكل كلمة تردفيه. وهذا الأمر يتطلب من القارئ أن يكتشف المعاني غير المرئية في ظاهر الكلام.وبهذا المنظور تصبح كل المعاني الأدبية نوعًا من المفارقة الخفية (المقنّعة)، سواءكانت مقصودة أو غير مقصودة.

والتوظيف التاريخي واحد من آليات لغة المفارقة في كلام الإمام الحسن عليه السلام وأدبه، فقد شاءت الأقدار أن تنعقد هدنة سلمية بين طرفين جد مختلفين، طرف بني على الباطل والخبث والدهاء هو معسكر الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان، وطرف آخر مثّل امتداد المعسكر النبوي والعلوي بقيادة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وشتان بين المعسكرين من حيث التوجهات والأهداف والسبل والغايات والقيادات. ومن هنا نشأت لغة المفارقة، مفارقة المكان الذي جمع بينالقيادتين، ومفارقة التاريخ الذي جمعهما، ومفارقة الشخصيات المتحاورة وأصولها الاجتماعية. لذلك أغلب مفارقات الدهشة والسخرية والمأساة والتحقير استبطنها كلام الإمام الحسن عليه السلام، واستشعرها السامعون وربما صرّح بها المستهدفون فكانت وبالًا على أسماعهم الخبيثة، وكشفًا لتاريخ أُسرهم ونواياهم المنافقة.

الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية:

من قبل، ذكر الإمام علي عليه السلام مرارة أن يقترن بأسماء العظماء حثالات البشرية فقال: ((أنزلني الدهر حتى قيل علي ومعاوية))[٣]، لتستمر المأساة ذاتها مع ولده الحسن عليه السلام، فيدفع ثمن ضعف المجتمع وتعقيده ورقة إيمانه، إذ كثرت الحوارات المباشرة بين الطرفين كان فيها معاوية طرفًا بذيئًا يستقي من تراث أسرته الخسة والغدر والشتائم، فيضطر الإمام لمجابهته، ولكنْ بلغة تليق بعظمته، بلغة التاريخ الكفيلة بكشف ما ستر عن جمهور المستمعين الغافلين عن حقيقة قائدهم الجديد المزعوم، علّه بذلك يستنهض الهمم فيهم من جديد، إذ قيل إنه لمّا بويع

معاوية بعد الهدنة خطب فذكر عليًا عليه السلام فنال منه ونال من الحسن ليرد عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثم قال: ((أيها الذاكر عليًا، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدك حرب، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرًا، وألأمنا حسبًا، وشرّنا قديمًا وحديثًا، وأقدمنا كفرًا ونفاقًا))[٤]. إن جمال المفارقة الأدبية يكمن بعدم استعمال اللغة المباشرة التي قد تريح السامع – وهو هنا معاوية – الذي لم يكن يتوقع ردًا بمثل هذه اللغة التي كشفت تحقيرًا لا حدود له واستهزاء منقطع النظير، وفوق ذلك مأساة المباينة بين ما عقد الإمام من مقارنة تاريخية لأسرتين مختلفتين تمامًا في الجاهلية والإسلام، في النجابة والشهامة والسخاء والشجاعة وعفة الأصل ونقاء الثوب. ومما زاد الكلام لذعًا، وحفل بكثير من المفارقة والدهشة والمفاجأة، روعة الدعاء وعمقه بعد الاستعراض التشخيصي المتناقض لتاريخ الأسرتين.وهذا النوع من المفارقة يسمى بالمفارقة المتناقضة بين المخبر والمظهر(The Contrast of Reality and Appearance) الأضداد كما عبر عنها الناقد الغربي (Muecke) باستعمال التضاد والتنافر فتأتي الحقيقة بأشدّ وضوحها، إذ إن المفارقة أبلغ وقعًا عندما يشتد التضاد. أو المفارقة الصريحة (Overt Irony) التي يكون فيها الضحية (Victim)أوالقارئ (Reader)[٥] أوكلاهما على وعي وإدراك بالمعنى الحقيقي الذي يعنيه صاحب المفارقة ويدركانه في الحال، ولذلك حين اكتشف السامعون مراد حقيقة المفارقة من هذه المتناقضات أمّن جميع الحاضرين على دعاء الإمام الحسن عليه السلام[٦]، ونحن اليوم نؤمّن أيضًا.

ومثل هذا الموقف تكرر كثيرًا، إذ كانت سلطة معاوية قائمة على الإعلام الزائف وتشويه الحقائق التي صّورته خال المؤمنين وكاتب الوحي، وأن أبويه أسلما وحسن إسلامهما، بينما أبو طالب في النار، إلى كثير من التدليس والتشويه اللذين مازال الناس إلى يومهم هذا يدفعون ثمنهما، ثمن إيصال دين معاوية إليهم، وليس دين محمد صلوات الله عليه وعلى آل بيته، لذلك اجتهد الإمام الحسن عليه السلام في إبطال

ادعاءاته كلما سنحت الفرصة، باستعمال لغة جد موجعة لأسماع رأس الدهاء ومعاونيه، فمن خطبه عليه السلام في بيان أمجاده وحسبه ونسبه بعد حمد الله والصلاة على نبيه، قوله لمعاوية رادًا: ((أما الخلافة فلمن عمل بكتاب الله وسنة نبيه، ليست الخلافة لمن خالف كتاب الله، وعطّل السنة، إنما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكًا فتمتع به وكأنه انقطع عنه، وبقيت تبعاته عليه)). فقال معاوية: ((ما في قريش رجل إلا ولنا عنده نِعَم جزيلة، ويد جميلة)). قال الإمام الحسن عليه السلام: ((بلى من تعززت به بعد الذلة، وتكثّرت به بعد القلّة)). فقال معاوية: ((من أولئك يا حسن؟)). قال عليه السلام: ((منْ يُلهيك عن معرفته))[٧]. وفي كلام الإمام الحسن عليه السلام مسحة جليّة من الاستعمالات الكنائية التي تدع الذهن ينصرف كل منصرف في تصوير حالة الباطل، وكلما أراد معاوية بخبثه أن يحدد لغة الإمام ويضيّق عليها ابتعد الإمام محلّقًا مصوّرًا فداحة ضلال خصمه مثل قول معاوية: ((ما في قريش رجل إلا ولنا عنده نعم جزيلة، ويد جميلة)). بينما كانت إجابة الإمام الحسن عليه السلام عامة غير مقيدة

بحجم غواية معاوية وضلاله، فبعد أن أكّد ما ذهب إليه معاوية فجاءه باستهزاء مرير ومفارقة لاذعة بقوله: ((بلى، من تعززت به بعد الذلة، وتكثرت به بعد القلة)). أي ذلة يعنيها الإمام تعزز بها معاوية وأي قلة تكثر بها؟. إنها ذلة الطلقاء وقلة الناصر يوم فتح مكة، فمعاوية وأبوه ورهطه من مسلمة الفتح،وأعوانه الذين تكثر بهم وتعزز – على سبيل السخرية – هم من أضرابه نحو عمرو بن العاص والمغيرة وغيرهم.

ولا ريب في أن تفاصيل معاني ما ذهب إليه الإمام الحسن عليه السلام قد أدركها معاوية، لذلك أحب أن يضيّق من واسعها فطلب استيضاحًا محددًا فقال معاوية: ((مَن أولئك يا حسن؟)). لتأتي الإجابة باللغة ذاتها التي عجز الخصم عن مجاراتها، فحملته على أن يتصور ناصريه القريبين من ذهنه نحو ما ذكرنا من أسماء، وربما البعيدون الذين غرّر بهم بتدليسه ودهائه. ولم يُرد الحسن عليه السلام إراحة باله في الإجابة المحددة فشغله بتصوير تغريره للآخرين وخبث دهائه فقال عليه السلام: ((من يلهيك عن معرفته)). وهنا يكمن جمال المفارقة حين تحمل مجموعة هائلة من التأويلات بعيدًا عن تحديد المعنى الواحد. ومثل هذه الأخبار كثيرة حفظها لنا التاريخ[٨].

الإمام الحسن عليه السلام وأتباع معاوية

أعني بأتباع معاوية من رؤوس قريش المشايعين له على الباطل والمعروفين بخبثهم وتربصهم بالإسلام وبأمير المؤمنين علي عليه السلام وأهل بيته، وكلهم تجمعهم خصال واحدة من دناءة النسب وهشاشة الدين وكره محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ونهجهما. لذلك انتهزوا فرصة الهدنة التي عدّوها انتصارًا مرحليًا لهم بالنيل من الإمام علي عليه السلام، فكان الحسن لهم بالمرصاد فكشف بكلامه خبث ما انطوت عليه سرائرهم ونفاقهم في دينهم، وعرّف الناس حقائق أصولهم الاجتماعية التي ما زالت سارية في سلوكهم. ومن المواقف التي جمعت الإمام الحسن عليه السلام بمثل هؤلاء ما ذكر أنه اجتمع أتباع معاوية الأربعة عنده وهم: عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة، وأخبروه أن الحسن قد أحيى أباه وذكره،وسألوه إحضاره لتعييره وتوبيخه وإقراره بأن أباه قتل عثمانًا على حد تعبيرهم. فحضر الإمام الحسن عليه السلام فعلا هذا المجلس البغيض، فقام الأربعة وتكلموا بما لا ينبغي ذكره في حق الإمام علي عليه السلام. فتكلم الإمام الحسن بن علي عليه السلام غير خارج عن سنّة آبائه فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله ، ثم قال: ((أما بعدُ يا معاوية فما هؤلاء شتموني، ولكنك شتمتني فحشًا ألفتَه، وسوء رأي عرفت به، وخلقًا سيئًا ثبتَ عليه، وبغيًا علينا عداوة منك لمحمد وأهله، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم))، وشرع الإمام عليه السلام في ذكر تفصيلات غاية في إصابة المعنى بأسلوب المقارنة المعهود في لغته بمثل هذه المواقف. وسأترك عرض تفاصيلها للقارئ في مصادرها التاريخية لأن المقام لا يسعه الإفاضة، وما يهمّنا الآن ذكر الإمام الحسن عليه السلام لرهط معاوية وتعريته لهم أمام الناس وتصوير حقيقتهم المنهزمة بعد أن شعروا بالنصر، فقال موجهًا كلامه لهم واحدًا

واحدًا: ((.. وأما أنت يا بن العاص فإن أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولًا من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزارها ألأمهم حسبًا، وأخبثهم منصبًا، ثم قام أبوك فقال: أنا شانئ محمد الأبتر، فأنزل فيه ما أنزل، وقاتلت رسول اللّه صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد، وهجوته وآذيته بمكة، وكدته كيدك كله، وكنت من أشد الناس له تكذيبًا وعداوة، ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة، فلما أخطأك ما رجوت ورجعك اللّه خائبًا وأكذبك واشيًا، جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي حسدًا لما ارتكب من حليلته ففضحك اللّه وفضح صاحبك، فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام، ثم إنك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول اللّه صلى الله عليه وآله بسبعين بيتًا من الشعر، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ((اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة فعليك إذًا من اللّه ما لا يحصى من اللعن))[٩]. إن توظيف مفارقة الموقف التاريخي القريب لهذه السيرة السيئة الصيت لهو أمر بحد ذاته في غاية الطرافة والسخرية والألم، ولاسيما حين تدّعي هذه الشخصية قيادة الأمة الإسلامية، وترفع راية التوحيد التي حاربها وما زال يحاربها، ولكن بوجه جديد. ولعلّ توظيف الدعاء في آخر مقاله بهذا النحو يكشف عن حجم المأساة لما آلت إليه مقادير الأمة، فضلًا عن السخرية المهينة. ثم خاطب المغيرة فقال: ((وأما أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق أن نقع في هذا وشبهه، وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكي فإني طائرة عنك، فقالت النخلة وهل علمت بك واقعة علي، فأعلم بك طائرة عني، واللّه ما نشعر بعداوتك إيانا، ولا اغتممنا إذ علمنا بها ولا يشق علينا كلامك، وإن حدّ اللّه في الزنا لثابت عليك، ولقد درأ عمر عنك حقًا اللّه سائلُه عنه، ولقد سألت رسول اللّه صلى الله عليه وآله هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها ؟ فقال : لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا لعلمه بأنك زانٍ))[١٠]. وليس ثمة تعليق يبين بما أكثر من هذا التحقير لشخصية المغيرة وضآلة حجمها، وتبدو فداحة الأمر وسخريته بالقول الأخير المفاجئ على لسان أقدس البشر. ووجّه الكلام نحو الوليد فقال: ((وأما أنت يا وليد فواللّه ما ألومك على بغض علي عليه السلام وقد جلدك ثمانين في الخمر، وقتل أباك بين يدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله صبرًا وأنت الذي سماه اللّه الفاسق، وسمى عليًا المؤمن حيث تفاخرتما فقلت له: اسكت يا علي! فأنا أشجع منك جنانًا وأطول منك لسانًا، فقال لك علي: اسكت يا وليد ! فأنا مؤمن وأنت فاسق، فأنزل اللّه تعالى في موافقة قوله: (**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ**) (السجدة:١٨)))[١١]. وأمّا عتبة فقد خاطبه عليه السلام بقوله: ((وأما أنت يا عتبة؟ فواللّه ما أنت بحصيف فأجيبك، ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك، وما عندك خير يرجى، ولا شر يتقى، وما عقلك وعقل أمَتك إلا سواء، وما يضر عليًا لو سببته على رؤوس الأشهاد.. . قال معاوية: واللّه ما قام حتى أظلم عليّ البيت))[١٢]. وذُكر أن الإمام عليه السلام لقي عمرو بن العاص في الطواف فقال له: ((لأهل النار علامات يُعرفون بها إلحادًا لأولياء اللّه، وموالاة لأعداء اللّه.. وإني من قريش كواسطة القلادة يعرف حسبي،

ولا أُدعى لغير أبي، وأنت من تعلم ويعلم الناس، تحاكمتُ فيك رجال قريش، فغلب عليك جزارُها، ألأمهم حسبًا وأعظمهم لؤمًا، فإياك عني فإنك رجس، ونحن أهل بيت الطهارة، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرًا))[١٣]، وتلحظ بلاغة الكلام بين التصريح والتكنية فحين قال: (لا أدعى لغير أبي) صرح معلنًا دناءة خصمه بقوله: (تحاكمت فيك...) وملقيًا الحجة عليه حين أعلنه حاكمًا على نفسهمؤكدًا بقوله: (وأنت تعلم ...) ■

---

١) ظ.لسان العرب، ابن منظور: (فرق)
٢) ظ. مبادئ النقد الأدبي، إ.ا. رتشاردز، ترجمة مصطفى بدوي: ٣٢١.
٣) فرحة الغري، ابن طاووس: ٧
٤) الإرشاد، المفيد: ١٥/٢
٥) ظ.Muecke، D. C; Irony and The Ironic، p. (٣٦-٤٠)، نقلا عن المجلة الألكترونية(مجلة نزوى) للكاتبة نجاة علي العدد الثالث والخمسون- ٢٠٠٩/٧/١٨
٦) ظ. الإرشاد، المفيد: ١٥/٢
٧) تنظر الحوارات:بحار الأنوار، المجلسي: ١٢٢/٤٤، الروائع المختارة، مصطفى الموسوي: ٥١ - ٥٣
٨) تنظر محاورته لمروان بن الحكم مثلا: الروائع المختارة،مصطفى الموسوي: ٨٢ - ٨٤
٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩٤/٦
١٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩٤/٦
١١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩٤/٦، الروائع المختارة، مصطفى الموسوي:٧٣—٨٠
١٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩٤/٦
١٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩٤/٦، بحار الأنوار، المجلسي: ١٠٢/ ٤٤

من أخلاق الإسلام: (الإيثار)

قال تعالى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(الحشر:٩)

ومعنى الآية أنهم يؤثرون الآخرين فيقدمون لهم الطعام والشراب رغم حاجتهم الماسة له.

ويقال في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت بحق أمير المؤمنين عليه السلام أو أنها نزلت بحق المقداد، أو أنها نزلت بحق أبي أيوب الأنصاري وربما تكون جميع هذه الأسباب صحيحة، والقصة كما يلي :أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله اجتاز طريقًا فشاهد أبا أيوب الأنصاري وقد بسط فراشه على الطريق وجلس مع زوجته وابنه وكان وجهه إلى الحائط وظهره إلى المارة، فسأله النبي صلى الله عليه وآله : يا أبا أيوب لماذا جلست هنا؟

فقال:يا رسول الله إن أحد المهاجرين قدم إلى هنا وليس له دار فرأيت أنه سيقيم في الطريق وفي ذلك ذل له ولنا، ويبعث ذلك على الخجل له ولنا، فإذا أسكنته بيتي وأقمت أنا هنا فلا أخجل من ذلك لأني قد أعنته وفي ذلك افتخار لي .

هذا هو : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) .

فانظروا كيف وصل المسلمون إلى حالة من الإيثار يعطي أحدهم فيها بيته للآخر ويسكن على قارعة الطريق، كيف حصل ذلك؟ إنه من أثر اليقين.

(الفضائل والرذائل – المظاهري – ص٣٥)

واحة الأدب

استشهاد الإمام علي عليه السلام وفاجعة شهر رمضان في ملحمة الشاعر عبد المحسن الكاظمي

أ.م.د.حسين لفته حافظ

مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة

تناول الشعراء وعلى مر العصور والأزمان فاجعة استشهاد الإمام علي عليه السلام في شهر رمضان من العام الهجري وتنوعت أشكال التصوير لتلك الحادثة الأليمة التي أبكت القلوب قبل العيون، ويعد شاعرنا عبد المحسن الكاظمي من كبار الشعراء في العصر الحديث، وقد حفل شعره بقصائد رثائية تتحدث عن مكارم وتضحيات أهل البيت عليهم السلام، ومنها ملحمته الخالدة ومطلعها:

دار الأَحِبَّة خَبِّرينا
عَن أَهلِك الخبر اليَقينا

أمّا عن سيرة حياة هذا الشاعر الكبير فنذكر أن اسمه عبد المحسن بن محمد بن علي بن محسن الكاظمي الملقب بـ (أبو المكارم)، (١٨٧١م - ١٩٣٥م). ولد في بغداد، درس في الحلقات الدينية في الكاظمية والنجف وأقام في مصر منذ عام ١٩١١ وتوفي بها.

أمّا عن نسبه فهو من سلالة الأشتر النخعي، شاعر فحل، كان يلقب بشاعر العرب. امتاز بارتجال القصائد الطويلة الرنانة. ولد في محلة (الدهانة) ببغداد، ونشأ في الكاظمية، فنسب إليها. وكان أجداده يحترفون التجارة بجلود الخراف، فسميت أسرته (بوست فروش) بالفارسية، ومعناه (تاجر الجلود) وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وصرفه والده إلى العمل في التجارة والزراعة، فما مال إليهما. استهواه الأدب فقرأ علومه وحفظ شعراً كثيراً.

ولعل من أهم صفاته التي ميزته عن غيره هي الاعتداد بنفسه والحافظة العجيبة وارتجاله الشعر فقد روى المرحوم الدكتور عز الدين آل ياسين الذين كان يطلب العلم في مصر- الكنانة، أن الكاظمي دعي مرة إلى حفل أقيم في مصر، حيث قدمه عريف الحفل لإلقاء قصيدة فما كان منه إلا أن ارتجل قصيدة غراء عصماء، جاوزت أبياتها مئة بيت وبيت، بين دهشة واستغراب حضور ذلك الحفل الحاشد. من الذين أبدوا قدرة ارتجال الكاظمي، وعباس محمود العقاد، وعبد القادر المغربي، وحليم سركس، وأسعد داغر، وكمال إبراهيم، ومحمد مهدي البصير، وأحمد الصافي النجفي، وآخرون.

أبيات من القصيدة:

يا دار أهلوك استقل
لـــوا بالقلوب مُطوّحينا
يا دار أَينَ تحمّلوا
وَلـــووا الأَعنّة ظاعنيـنا
أَينَ استقلّ الحاديا
ن بهم لدن حديا الظعونا
أَينَ الأُلى لم يَبرَحوا
غـــادينَ عنـدكَ رَائحينا
أَينَ الألى إن قيل خَط
بُ أقبلـــوا يَتَزاحمـــونا

إلى أن يقول:

ما لِلمَنايا مولعا
ت بالكـــرام الأطيبينا
تَتَناوَل الحرّ الكَريـ
م وَتترك الوغد الهَجينا
ذر يا حمام لَنا الأقل
ل وَخذ إليكَ الأكثـرينا
ما أَكثَر المُتمردِيـ
نَ وَما أَقـــلّ الأَكرَمينا
مِن أَيّ نافذَة رمينا
وَبـــأيّ فـــاجعَة فجينا
أَرخَصت عاديَةَ الرَدى
كَنـــزاً نضـــنّ به ثَمينا

وَهدمت نازلة القَضا
حِصناً نَلوذُ بِهِ حَصينا
وَحَجبت عَنّا نيّراً
لَولا سَـــناه ما هدينا
كانَت بِهِ الآفاق بِـيـ
ـضا فانقلبن عليهِ جونا
يا مَن رُفعت عَلى الأكف
ف أعيذُ مَجدك أَن يَهونا

البناء الفني للقصيدة :

البناء في اللغة من الجذر (بني) نقيض الهدم، (بنى البنَّاءُ البِنَاءَ بَنْيًا وبناءً و بني، مقصور، وبُنياناً وبنيةً وبنايةً وابتناه وبَنَّاه...) ، والبناءُ المَبنيُّ، والجمع أبنيةٌ ،وأبنياتٌ جمع الجمع[١]، والبَنِيَّةُ : كل ما يُبنى ، وتطلق على الكعبة[٢].

والبناء الفني مصطلح تعارف عليه النقاد منذ القدم ولعل في إشارة ابن قتيبة دلالة واضحة إلى معنى البناء ومعرفتهم به وذلك في قوله : ((المديح بناء والهجاء بناء وليس كل بان بضرب بانياً بغيره))[٣].

فالتعبير المجازي هنا واضح عند النقاد في الحديث عن البناء ، وذهب ابن قتيبة إلى أبعد من هذا عندما تحدث بالتفصيل عن مكونات القصيدة العربية في قوله: ((وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر عن ماء إلى ماء وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه، الوجوه وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه ؛لأنّ التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه ،والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر، وسرى الليل، وحر الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء، وذمامة التأميل، وقرَّر عنده ماناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح...))[٤].

ونحن نجد أن شاعرنا الكاظمي قد التزم بطريقة البناء الفني متأثرًا بالاتجاه القديم من خلال استهلال قصيدته في مدح الإمام علي عليه السلام بمقدمة طللية مخاطبًا بها الدار في قوله :

دار الأَحِـبَّة خَبّرينـا
عَن أَهلك الخبر اليَقينا

فهو هنا يناجي دار الأحبة والمقصود هم أهل الدار طالبًا منهم أن يخبروه عن مصير أحبابه الذين كانوا يملؤون الدار أنسة وبهجة ، وهو هنا يريد الخبر اليقين الصادق لقد كان الكاظمي مدرسة في الشعر، مدرسة من اجمل مدارس الشعر العربي وأجودها بقيت تزخر بعطائها فكانت مرآة لروح المعتقد والدفاع عنه ونبراساً له وروضة تجد فيه العطر العبق.

وبعد هذا الاستهلال ينتقل الشاعر للبكاء على الديار في قوله :

نَضحت عليك عُيونهم
بدم القُلوب وَقَد صدينا

وهنا يلجأ الشاعر إلى استعمال التصوير الفني في التعبير عن معناه فهو

يصور لنا أن العيون كانت تبكي دمًا من شدة الحزن على آل البيت عليهم السلام وهم أحق بالبكاء لما تعرضوا له من ظلم على يد الطغاة الظلمة ، لهذا أراد أن يثير المتلقي من خلال خلق مثل هذه الأجواء الحزينة والمؤلمة .

والملفت للنظر في هذه المقدمة أن الشاعر كان يكرر لفظة الدار كثيرًا ولأكثر من خمسة أبيات في كل مرة كان يستعمل الدار ويبدو أن الشاعر كان يقصد من وراء ذلك تنبيه المتلقي إلى أهمية هذه الدار التي كانت رمزًا لأهل البيت عليهم السلام وأنها صامدة بوجه كل ما تعرضت له لأنها تستمد إيمانها وعزيمتها من السماء .

الأساليب الفنية في قصيدة الشاعر :

تنوعت الأساليب الفنية التي استعملها الشاعر في ملحمته الشعرية التي أرادت أن تخلد فاجعة استشهاد الإمام علي عليه السلام في الشهر الفضيل ومن تلك الأساليب:

أسلوب الإنشاء:

وهو من الأساليب التي يستعملها الشعراء في قصائدهم من خلال توظيف أنواعه المختلفة من أمر إلى استفهام ونداء وتمنٍ إلا أن أكثر هذه الأنواع ورودًا في ملحمةً الشاعر كان اسلوب النداء والاستفهام وبعده يأتي الأمر ، ومن أمثلته قول الشاعر:

قم واِستَمِع آيات فض
لك في الأَنام إذا تَلينا

فالشاعر هنا يستعمل أسلوَب الأمر من خلال فعل الأمر قم و استمع وهو أمر مجازي الغرض منه الدعاء فالشاعر يخاطب الإمام والمقصود هو التنبيه إلى فضائل علي عليه السلام التي أسبغها على الأنام فهي تتلو عليهم ويرونها بأم أعينهم .

وفي موضع آخر من القصيدة يستعمل الشاعر أسلوب الأمر مع تغيير في الصيغة

من خلال استعمال لام الأمر بعد خولها على الفعل المضارع في قوله:

وَليعملنّ لمثل ما
عملت يَداكَ العاملونا

فصيغة (ليعملن) دلت على الأمر وهو أسلوب أمر الغاية من النصيحة والإرشاد ، فالشاعر يريد أن يحث الناس على العمل بفكر وسلوك الإمام علي عليه السلام فهو القدوة الحسنة التي مثلت كل قيم الخير والصلاح ولا شك أن الذي يسير في طريقه مصير الخير وجنات الخلد .

فضلًا عن هذا يستعمل الشاعر أسلوب الأمر في قوله :

وادفن رَجــاءك حيـث
أَضحى من ترجّاه دَفينا
وَدعِ الحمام عَلــى الأرا
ك يهزّ بالنوحِ الغُصونا
واستَقبِل الوجد المُقي
مَ وَشيّع الصبر الظَعينا
وادفن رَجــــاءك حيث
أَضحى من ترجّاه دَفينا
خَلّ الدُمــوع وَشــأنها
تدمى المَحاجِر وَالشؤونا

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر وظف أسلوب الاستفهام في قصيدته مستعملًا مختلف أدوات الاستفهام وفي أغلبه كان استفهامًا مجازيًّا خرج لأغراض متعددة منها قوله:

مَـن ذا تــركتَ لأمـّة
تخذتكَ في الجلّى مُعينا

فهو هنا يسأل مستغربًا من هو الذي يستطيع أن يحل محل الإمام علي ، أي من للأمة من بعده فهو الهادي والمرشد بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وكأنه يحذر مما وقعت به الأمة من فتن بعده .

وفي موضع آخر يستفهم الشاعر في قوله :

أَو لست أَوّل مَن دَعا
فَصَغى إِلَيه السامعونا

فالملاحظ هنا أن الشاعر يتخذ من طريقة الاستفهام وسيلة لإظهار وإبراز كرامات وفضائل الإمام عليه السلام بطريقة فنية ، فهو هنا يحقق القول بأن الإمام أول من أجاب دعوة ربه ،ومن ثم بشر بهذه الدعوة وصغا إليه جمع من المؤمنين .

فضلًا عن هذا وظف الشاعر أسلوب النداء في قوله :

يــا دار لا تَتــوهّمي
فيك الأَحبّة عائدونا

نلاحظ استعمال الشاعر لياء النداء وهو نداء مجازي لأن الشاعر يخاطب الدار وهي مما لا يعقل وهو هنا يتمنى أن لا تتوهم الدار ،وأن تعرف جيدًا أن الأحبة كانوا يسكنون فيها ذات يوم .

ويستمر الشاعر في ندائه الممزوج بالحزن والألم على الإمام الشهيد عليه السلام، فالخبر كبير ،أكبر من أن تتحمله الآذان أو تصمد أمامه النفس فهو إمام الثقلين وسيد الوصيين جاء هذا في قوله:

يا هَل دَرى ناعيه من
ذا قَـد نَعى للعالَمينا

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر يكثر من استعمال (كم) الخبرية وهي من أساليب الإنشاء غير الطلبي وذلك في قوله:

كَم مَوقف لك وَالزَئيـ
رُ بمثله يَغدو طَنينا
كَم مأقطٍ ضنكٍ ثبـت
تَ بِــهِ وزلّ الثابِتونا
كَم رحت تَهتف طارقاً
بَابَ النَدى للمطرقينا

فضلًا عن هذا نجد الأساليب الاستفهامية التي وظفها في قوله:

أَعليّ ذكرك لَم يغب
عَنّا وَلَم نكُ قَد نسينا
ذَهَبوا وَهَل رجعى لِقَو
م لِلمـَقابـر ذاهبونا

فالشاعر يتفنن في عرض الأغراض المجازية التي يخرج إليها الاستفهام مستفيدًا من طاقة اللغة في صياغة الأسلوب بطريقة مثيرة تحفز القارئ على التأمل فهو في الاستفهام الأول يقرر حقيقة راسخة أن ذكر علي عليه السلام لا يغيب عن الأذهان ، فهو يعيش في فكر كل شريف غيور جعل حماية الدين والمقدسات همه الأول.

توظيف موضوع الفاجعة:

استطاع شاعرنا بقدرته الفنية على توظيف موضوع فاجعة الإمام عليه السلام في مطولته من خلال اقتناص المواضيع المؤثرة في نفس المتلقي ومن هذه المواضيع ، وصف الشاعر للإمام على أنه كنز ثمين في قوله :

أَرخَصت عاديَةَ الرَدى
كَنزاً نضنّ به ثَمينا

فالشاعر هنا يضع اللوم على عادية الردى التي نالت من الكنز الغالي والثمين .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، إنما راح الشاعر يجسد تفاصيل الفاجعة وانعكاساتها على الأمة من تفرق وتشرذم ، فضلًا عن الخروج على تعاليم السماء ،وما يؤديه ذلك من خلل في النسيج الاجتماعي للمجتمع بسبب ماحل به من جراء ترك من أوصى به رسول السماء ، وعدم الاهتداء بهديه .

التصوير الفني:

يلجأ شاعرنا إلى رسم صورته الفنية من خلال توظيف فن الاستعارة ، وهذا الفن أكثر تأثيرًا لأنه يحتاج إلى تأمل في النص هذا التأمل مصدره الغموض المحبب والخفاء الجزئي للمعنى ومن أمثلة ذلك قول الشاعر في وصف فاجعة الإمام عليه السلام:

وَهدمت نازِلة القَضا
حِصناً نَلوذُ بِه حَصينا

فالشاعر هنا يستعير لنازلة القضاء، وهي شيء معنوي القدرة والإرادة على التهديم وهذه القدرة يستعيرها من الإنسان القوي الشديد ،فضلًا عن استعارة الحصن الحصين إلى الإمام علي عليه السلام، فنحن بأمس الحاجة عند الشدة إلى عون الإمام ومساعدته في الوقوف إلى جنبنا معنويًّا لأن هذه الوقفة من شأنها أن تشد من أزرنا وتعطينا الثبات في مواجهة الصعاب.

ونجد في أحيان أخرى أن الشاعر يلجأ إلى أسلوب الكناية في التعبير عن المعنى ومن أمثلة ذلك قوله:

يَرقى إِلَيكَ الشامتو
نَ وَخلف نعلكَ واقعونا

فالشاعر هنا يكني عن الرفعة والمجد، فكلُّ الشامتين خلفه، فهم واقعون خلف نعله، وهي كناية عن صفة عبَّرَ عنها الشاعر بطريقة فنية، فمن يستطيع أن يسبق الإمام بفضله؟ وهل يستطيع الزمان أن يأتي بشخصية كشخصية الإمام علي عليه السلام.

وفي موضع آخر كنى الشاعر عن الحزن الشديد في قوله:

أنّى التفتّ فَلا أَرى
إِلّا كَئيباً أَو حَزينا

التعريض

مُحيي الفَضائِل لَيسَ يص
بحُ في عِداد المَيّتينا

الشاعر هنا يعرض بأعداء الإمام الذين

تصوروا أنَّ الإمام قد مات، لتأتي الإجابة بطريقة السخرية والتهكم من عقولهم، إنَّ من أحيى الفضائل والسنن لا يموت، إنما تبقى الأجيال جيلًا بعد جيل، تلهج بذكره العطر بدليل أن شاعرنا وعلى الرغم من السنين الطويلة لازال يمدح ويتغنى بذكر علي عليه السلام.

أما فن التشبيه فقد كان له نصيب وافر من تأبين الإمام علي عليه السلام في ملحمة الشاعر الكاظمي فمن تشبيهاته قوله:

كالصلّ نضنضَ كامناً
في بردهِ الزاهي كمونا
عالي العَقيرة لَيسَ يخ
فضُ منه لوم اللائمينا

وفي صورة أخرى يشبه الشاعر الإمام عليه السلام بالكواكب التي تزدهى جمالًا وفي هذا التشبيه دلالة واضحة على علو منزلة الإمام التي لا ينالها غيره وذلك في قوله :

مثل الكَواكِب تَزدَهي
بَل بالكَواكب يَزدَرينا

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر خلق لنا صورة تشبيهية تتحدث عن بيان وبلاغة الإمام التي شهد له فيها الأعداء فليس هناك من يباريه في بيانه وبلاغته وما تركه الإمام من خطب يشهد بذلك، جاء هذا في قوله:

وَبيانهُ كالسحـــر بَـل
من فَوق سحر الساحرينا

نلاحظ أن الشاعر يشبه بيان الإمام عليه السلام بالسحر، ولا يقتصر الأمر على ذلك، إنما يتعداه ليصل مرحلة أعلى من السحر يسميها الشاعر فوق السحر.

أما عن الإشارات الدينية التي يستفيد منها الشاعر في خدمة الصورة الفنية فنجده يستفيد من حادثة النبي موسى عليه السلام ليوظفها في تشبيه ضمني من خلال اللمحة الدالة، فالإمام عليه السلام من خلال سعيه وإيمانه وصبره يلقف ما يأفكون، فكأنه عصى موسى التي سخرها الباري عز وجل بقدرته وقوته لتبطل سحر وأكاذيب الدجلة،إننا أمام صورة مركبة من أطراف متعددة، رسمها الشاعر بمخيلته الفذة وذلك في قوله:

يَسعى وَيلقف كالعَصا
بصـــياله ما يأفـــكونا

أما عن الصورة المجازية التي رسمها الشاعر فنجد أنه استعمل اليد مجازًا في قوله:

وَليعملـنّ لمـــثل ما
عملت يَداكَ العاملونا

فاليد هي سبب النعمة وآلة العطاء، فقد ذكر اليد والمراد به العطايا والكرم الذي امتاز به إمامنا عليه السلام.

التوظيف القرآني:

يعدُّ القرآن الكريم مرجعاً مهماً من مرجعيات الشاعر بصورة عامة، يلجأ إليه ليتزوَّد منه كثيراً من تقنيات الأسلوب والصورة والألفاظ، ومن ثمَّ فإنَّ ظهور القرآن في النصوص الإبداعيَّة، وتغلغله فيها أمرٌ يكاد لا يستثنى منه أي ديوان شعر عربي، منذ نزوله حتى الآن مع اختلاف نسبة تكثيفه في هذا الديوان أو ذاك وشاعرنا واحد من الشعراء الذين تأثروا بالنص القرآني واختلفت صور التأثير عنده نحو قوله:

وَإذا أَرَدت ذَوي النهى
قيدوا لرأيك مذعنينا
وَقطعتَ دابر من عَثا
علناً وَلَم تقطع وَتينا

كَيفَ السَبيل إلى الهُدى
وَسناك قَد لبس الدجونا
نَشكو فُراقك عالمينا
إنّا إليه راجِعونا
خَلتِ الديار فَلَيسَ بَعـ
ـدكَ مَن يسرّ الناظرينا
يَسعى وَيلقف كالعَصا
بِصياله ما يأفكونا
هَيهات أَن يَدري الخَليـ
ـيُ بما يكنّ الواجِدونا
وَإذا أَساءَ لهم مسيـ
ـء يَغفرون وَيحسنونا

أسلوب التضاد:

وهو من الأساليب البلاغية التي يلجأ إليها الشعراء للتأثير في المتلقي من خلال خلق معانٍ جديدة مبنية على عنصر التضاد بين الأطراف ، وقد امتاز الشاعر الكاظمي بقدرته الفنية في هذا المجال،والأمثلة كثيرة أذكر منها الأبيات الآتية:

وَإذا أَساءَ لهم مسيـ
ـء يَغفرون وَيحسنونا
تَتَناوَل الحرّ الكَريـ
ـم وَتترك الوغد الهَجينا
كخطبٌ يعمّ الأبعديـ
ـنَ كَما يخصّ الأَقرَبينا
أنَت بِهِ الآفاق بيـ
ـضافانقلبن عليهِ جونا
آيات صدقٍ قَد تخا
وص دونها المتخرّصونا
كَم مَوقِف لك وَالزَئيـ
ـرُ بمثله يَغدو طَنينا
نازَلتَ دَهرَكَ أَعزلا
وَذوو الكفاح مدجّجونا
اللّه ما يَلقى العَليـ
ـم حيالَ جهلِ الجاهلينا

فالشاعر هنا جمع بين الإساءة والمغفرة وبين الحر الكريم والوغد الهجين وبين البعيد والقريب وبين الأبيض والأسود وبين الصدق والكذب وبين الزئير والطنين وبين الأعزل والمدجج وبين العليم والجاهل، وكل ذلك كان من شأنه أن يعطي بعدًا مؤثرًا من أبعاد شخصية الإمام علي عليه السلام، فالشاعر في كل مرة كان يكشف لنا جانبًا من جوانب الشخصية العظيمة التي كان عليها الإمام عليه السلام متخذًا من تضحيته الكبيرة منارا تهتدي به الأجيال القادمة وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين■

---

١) ينظر: لسان العرب، مادة (بنى): ٥١٠/١ ، الصحاح في اللغة والعلوم مادة (بني) ١١٨/١
٢) ينظر: المعجم الوسيط، مادة (بنى): ٧٢/١
٣) الشعر والشعراء: ٩٤/١
٤) الشعر والشعراء: ١ /٧٤ – ٧٥.

واحة الأدب

ملامح بيانية في شعر الإمام الحسين عليه السلام

أ.م . د . مرتضى عبد النبي الشاوي
كلية التربية القرنة / جامعة البصرة

يعدّ شعر الإمام الحسين بن علي عليه السلام من الأدب الإسلامي على الرغم من قلته كما يروى عنه وينسب إليه، إذ يتضمن المعاني الإسلامية في الوعظ والإرشاد والنصيحة والفخر والحماسة والوصف والتذكير بالآخرة والتحذير من النار ومن فتنة القبر.

إنّ المكتبة العربية تعرفنا على تراث الإمام الحسين عليه السلام من خلال مصادرها القديمة ومراجعها الحديثة إلا أنّ ما روي عن الإمام الحسين عليه السلام مبثوث في متون الكتب التاريخية القديمة وكتب السير التي تناولت أشعاره التي قالها في مواقف متعددة، إذ جاءت أشعاره في مناسبات من حياته ، فليس للإمام الحسين عليه السلام ديوان شعر مروي كبقية الشعراء الإسلاميين، بل أبيات مبعثرة في متون الكتب القديمة تنسب إليه.

ويتوزع شعر الإمام الحسين عليه السلام في معان ودلالات وأغراض شعرية مختلفة، وصفةُ الزهد في عموم شعره من الأغراض الشعرية البارزة، وعلى الرغم من عمومية الزهد في شعره إذ يشتمل على أغراض أخرى: الفخر، والشعر الروحي، والشعر الوعظي، والشعر الأخلاقي، والحكمة، والوصف، فشعر الإمام الحسين عليه السلام بمفرداته ومعجمه الشعري وصوره وأغراضه خير دليل على ما وصل إلينا منه مدوناً سواء كان مدوناً في متون الكتب القديمة أو منثوراً هنا وهناك أو مجموعاً في ديوان أو ذكرت منه مقاطع أو قصائد في كتب قديمة، وعلى الرغم من قلته إلا أنّنا فخورون به كلاماً منظوماً في ديباجته الشعرية وموضوعاته الإنسانية؛ بما يحمل من حكمة وزهد وأخلاق وإرشاد وتوعية بأقل ما تتضمن الكلمة الشعرية من إحساس وأفكار، والمنهجية التي استعملتها في هذه الدراسة البلاغية البيانية هو تسليط الضوء على أهمٍّ مرتكزات البلاغة العربية في قراءتها الأكاديمية التطبيقية من جانب تحليلي واضعاً التقسيمات الأساسية لها ومضمناً فروعها متمثلاً بأشعاره عليه السلام بما يناسب تلك التقسيمات كونها ظواهر بلاغية وملامح فنية عامة يتجلى فيها النص الشعري بخطابه العام والخاص، وهي دراسة فنية تقف على يأتي:

الصور التشبيهية:

إنّ معالم الصور التشبيهية واضحة وتظهر في أبعاد خطابه الشعري وإنّ مفهوم التشبيه يعتمد على المقارنة بين الأشياء في ضوء الربط والجمع بأداة التشبيه،فهناك مجموعة من الصور التشبيهية المتنوعة وردت في شعر الإمام عليه السلام منها ما يخص التشبيه الذي يتشكل من دون أداة، ويسمّى عند البلاغيين بالتشبيه البليغ، فالمشبه مثلاً به عليه السلام نفسه والمشبه به (البدر) كما ورد في قوله[١]:

أليس رسول الله جدّي ووالدي
أنا البدر إن خلا النجوم خفاء

وقوله في حماسيته[٢]:

أنا الحسين بن علي بن أبي
طالب البدرُ بأرض العرب

وهناك التشبيه التبليغ الذي من دون أداة بما يعرف عند اللغويين والبلاغيين التشبيه بالمصدر كما في قوله[٣]:

فقد عمي ابن آدم لا يراها
عمىً أفضى إلى صمم الصّماخ

فاستعمال المصدر كأداة للتشبيه، هي صورة في غاية الدقة إذ تتضمن الحدثية، والتركيز على نمطية مميزة لخفاء أحد عناصر التشبيه، تلك الأداة من أجل تحقيق

الإيجاز والاختصار والتركيز على الحدث المرتبط بزمن الفعل، وفي تحقيق جوانب كثيرة في التصوير على مستوى التشبيه.

الصور المجازية:

لا يخلو شعر الإمام الحسين عليه السلام من الصور المجازية،ويمكن أن نلمس ملامحه في ما يأتي:

المجاز العقلي:

كما في قوله[٤]:

ودنيانا وإن ملـــنا إليها
وطال بها المتاع إلى انقضاء

فالمجاز العقلي علاقته السببية، لأن ميل الإنسان إلى الملذات هو ارتكاب الفاحشة وليس الميل الحركي، فكان استعمالاً مجازياً علاقته السببية فسبب الميل هو وجود المتاع .

المجاز المرسل:

كما قوله[٥]:

فقد عمي ابن آدم لا يراها
عمى أفضى إلى صمم الصماخ

فالمجاز مرسل وعلاقته الآلية، فالصمم فقدان لحاسة السمع، والصماخ قناة الأذن الخارجية التي تنتهي عند الطبلة وهي مدخل الصوت.

الصور الاستعارية:

إنّ الاستعارة وسيلة للمبالغة والإيجاز أو التكثيف[٦]، وخير مثال للتطبيق تلك الصور التي جاء بها شعر الإمام الحسين عليه السلام في انتظام لوحات فنية كما في قوله[٧]:

فيسلم فيه مهجوراً فريداً
أحاط به شحوب الاغتراب

إنَّ الشحوب تغيير اللون بسبب، كالهزال أو الجوع أو السفر، والاغتراب النزوح عن مكان إلى مكان آخر، فاستعارة الشحوب إلى الإغتراب يكمن عن أنسنة الأشياء المعنوية ، وجعلها في فاعلية الحراك الإنساني، وغياب المشبه عن الصورة يجعلها في صبغة الاستعارة التصريحية .

الصورة الكنائية:

تتجلى قيمة الكناية في إيجازها وقوة تأثيرها وتجسيدها المعاني في صور محسوسة[٨]، ونجد ملامحها في شعره عليه السلام كثيراً كما في قوله[٩]:

وقاطنها سريع الظعن عنها
وإن كان الحريص على الثّواء

فسريع الظعن: كناية عن الارتحال، والحريص على الثواء: كناية عن المتمسك والمشفق والراغب في المنفعة؛ لأنّ الثواء معناه ثوى بالمكان استقر وأطال الإقامة به فخفاء الموصوف يدلُّ على هذا النوع الذي يسمى بالكناية عن موصوف(ذات).

الزخرفة البديعية:

إنّ البديع مظهر من مظاهر المستوى اللفظي، فيزخر شعر الإمام الحسين عليه السلام بالمحسنات اللفظية مراعاة للجانب الموسيقي؛ لما يمتلك من مراعاة في المطابقة ووضوح الدلالة وهذه التحسينات جاءت كالآتي:

الجناس:

إنّ الجناس أو التجانس تعتمد التماثل السطحي، والتسمية ذاتها تشي بذلك، وتعدّ من أبنية التكرار والإعادة[١٠].

وكما يكثر من الطباق يكثر أيضاً من الجناس بطريقة عفوية بلا تكلف كما في قوله[١١]:

وإن كانت الأرزاق شيئاً مقـــدراً
فقلّة سعي المرء في الرزق أجمل
وإن كانت الأموال للترك جمعها
فما بال متروك به المرء يبخل

فالجناس بين (الأرزاق) و(الرزق) و(الترك) و(متروك) هو جناس ناقص إذ تتواجد زيادة في إحدى الكلمتين المتطابقتين أكثر من حرف واحد وهذا النوع يسمى مذيلاً[١٢]

الطباق:

من الملاحظات الفنية خير ما يطبع شعر الإمام الحسين عليه السلام كثرته في الجمع بين الأشياء المتضادة في بنًى قائمة على التوافق السطحي والتخالف العميق ؛ لأنّ المستوى السطحي يأتي بالدوال على أطراف تنتج معان كنائية تنحاز إلى الضدية يصبّ في بنية الطباق بوصفه يفرز سياقات ضدية، كما في قوله[١٣]:

أليس من أعجب عجب العجب
أن يطلب الأبعد ميراث النبي
والله قد أوصى بحفظ الأقرب
فالأبعد خلاف الأقرب

وهما ضدان استعان بهما على الزخرفة اللفظية في تفعيل المعاني وإظهار حيرتها على المستوى الفني فالجمع بين الأضداد بين (الأبعد) و(الأقرب) هو تناسب في الاسمية.

فالإمام عليه السلام يكثر من الأضداد في شعره انسجاماً مع البنية الإيقاعية في تفعيل الثراء اللغوي في عرض المعاني المخالفة من أجل التكثير والسعة، وهو في دلالته على الجمع بين المتضادين؛ لأجل المقابلة المعنوية كما في قوله[١٤]:

فلو عشت وطرقت
من الغرب إلى الشرق
لما صادقت من يقد
ر أن يسعد أو يشقي

والطباق بين (الغرب) و (الشرق) وبين (يسعد) و (يشقي) هو طباق الإيجاب تتداخل الألفاظ المضادة فيما بينها من أجل اتساع دائرة المعنى هو تناسب بين أطراف تكون تارة في الفعلية وتارة تكون في الاسمية.

المقابلة:

يعتمد التقابل على مقابلة صورتين لموضوعين أو ذاتين والمقارنة بينهما، ورأي علماء البديع أنّ أعلى رتب المقابلة وأبلغها ما كثر فيه عدد المقابلات لكن شريطة الابتعاد عن التكلف والإسراف فيه، كما ورد في قول الإمام عليه السلام [١٥]:

فلا الجُودُ يُفْنيها إذَا هي أَقْبَلَتْ
وَلاَ البُخْلُ يُبْقِيها إذَا ما تَوَلَّت

فإنّ (الجود) يقابله (البخل) و (يفنيها) يقابله (يبقيها) و(أقبلت) يقابله (تولت) وهذا النوع من أشكال المقابلة المعروفة بما تسمى مقابلة ثلاثة بثلاثة ومن هنا تكون المقابلة نوعاً من العلاقة بين الأدلة اللغوية، بوق التقابل بنية أساسية للخطاب الأدبي في مستوياته الخطية والإيقاعية والدلالية تحقق انسجاماً وترابطاً بين وحداته[١٦].

المشاكلة اللفظية:

تعدّمن دائرة التكرار الذي يجمع بين التماثل السطحي والتخالف العميق وفيها طابع التكرارية الذي يتكرر لفظه دون معناه[١٧]، وتبدو المشاكلة في بنيتها ((قريبة الشبه بالجناس في تكريره اللفظ مع اختلاف المعنى، وفي مخادعة القارئ ومخايلته))[١٨] كما ورد عنه عليه السلام[١٩]:

عجبتُ لمعجبٍ بنعيم دُنيا
ومغَبــونٍ بأيــام لــذاذ

وهذا اللون من التكرار في البنى اللفظية يعدّ واحداً من أبرز آليات بناء أي نص لغوي على مستوى وحداته المعجمية

والصوتية والدلالية والتركيبية؛ لما فيه من تكرار على مستوى الخطاب اللغوي لكي يمنحه قدراً كبيراً من التماسك والانسجام [٢٠].

ظاهرة التناص مع القرآن الكريم:

إنّ الخطاب الشعري عند الإمام عليه السلام خطاب متنوع الدلالة ثري بالمفردة القرآنية يتوشح بثوبها ويتعطر بدلالتها الرحبة، يصنع منها مفردة سياق شعري منسجمة في أطر التنغيم على مستوى الإيقاع الداخلي، فضلاً عن الدفقة في إنتاج المعنى على مستوى بنية الاتحاد بين المعنى القرآني والمعنى الشعري لتلك المفردة المتناصة ونلمس ذلك في شعره.

كما في قول الإمام عليه السلام[٢١]:

وسوّى الموت بين الخلق طرّاً
وكلهـــم رهائـــن للفنـــاء

فلفظة الرهائن: مفردها رهينة وقد قال تعالى: (**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**) (الطور: ٢١)، أي: مجازى بفعله.

الظواهر الفنية:

أ- التصوير الغيبي:

إنّ التقاط المشهد الغيبي ونقل الحقيقة من خلف حجاب مادي؛ تلك الحالة التي يؤول إليها الإنسان بعد مماته ودفنه لهي من العبر والمواعظ التي يسهم الإمام عليه السلام في نقلها رهبة لذلك العالم الخفي، وتنبيهًا وتحذيراً لأنفس كثيرة المعاصي والذنوب، فاستعمال الصورة بأدواتها الفنية من استعارة وكناية في تعبير نفسي وشعوري قد أزاح النقل غير المألوف في تقديم الوصف؛ لما يقع داخل القبر من أهوال غامضة سميت بفتنة القبر، فرسم الصورة بألوانها الإبداعية خفف من حقيقتها مما جعلها أكثر جمالاً وحساً وحيوية في مفردات كما في قوله[٢٢]:

يحوّلُ عن قريب من قصور
مزخـرفـة إلى بيـت الـتراب
فيسـلم فيه مهجوراً فريـداً
أحاط به شحوب الاغتـــراب
وهول الحشر أفظع كلّ أمر
إذا دعـي ابن آدم للحســـاب

يقابلها صورة الدنيا بمغرياتها إذ وصفها بتعابير حسية ممزوجة بأدوات بيانية من استعارة في أنسنة أشيائها وإضفاء ملامح لونية وشعورية لدنيا تتمظهر بأشياء حسية كما جاء في قوله عليه السلام[٢٣]:

ودنياك التي غرتك مـنها
زخارفها تصير إلى انجـذاذ
تزحزح عن مهالكها بجهد
فما أصغى إليهـا ذو نفـــاذ
لقد مزجت حلاوتها بسمّ
فما كالحذر منها من مـلاذ

ب ـ الحوار القصصي:

يلجأ إلى الحوار القصصي بين الجماد والإنسان في إضفاء روح حيوية للكلمة لأجل أنسنة الجمادات فيجعل الأشياء متحركة مع الإنسان في صياغة رصينة .

يخاطب سكان القبور بعد زيارته مقابر الشهداء بالبقيع[٢٤]، وينادیهم من واقع غيبي لا يمكن أن يتصوره أيّ شخص إلا كان في مقام عال ومرتبة مقربة من مشكاة النبوة، فالاطلاع على عالم الغيب سواء أكان مستوراً تحت الأرض أو في السماء أمر لا يصفه إلا من يؤمن بذلك إيماناً عميقاً ويقينياً، فيبين فيه مشاعره ويبثّ أحاسيسه، ومهما تكون المناداة والمخاطبة إلى عالم البرزخ يبقى الرد غامضاً غير واضح من أيّ إنسان كائن،

فليس هناك أيّ جواب من جانب القبر فلا يسفر عما خفي إلا عندما تكون المخاطبة من نبي أو وصي أو إمام معصوم، فهكذا يكون الحوار القصصي بين حي وبين جماد لا يفصح عن نفسه فنابت عنه الأرض في الحديث والمخاطبة على لسان المتكلم الذي يشعر بإحساسه العميق وخلجات نفسه ما تبعثه الأرض من معانٍ، فضلاً عن ذلك إنّ الإمام المعصوم عليه السلام يرى ما لا يراه الناس فعلم الإمام لدنّي كما جاء في قوله[٢٥]:

ناديتُ سكان القبور فأسكتوا
وأجابني عن صمتهم ترب الحصى
قالت أتدري ما فعلت بساكني
مزّقتُ لحمهم وخرّقت الكسا
وحشوت أعينهم تراباً بعدما
كانت تأذى باليسير من القذا

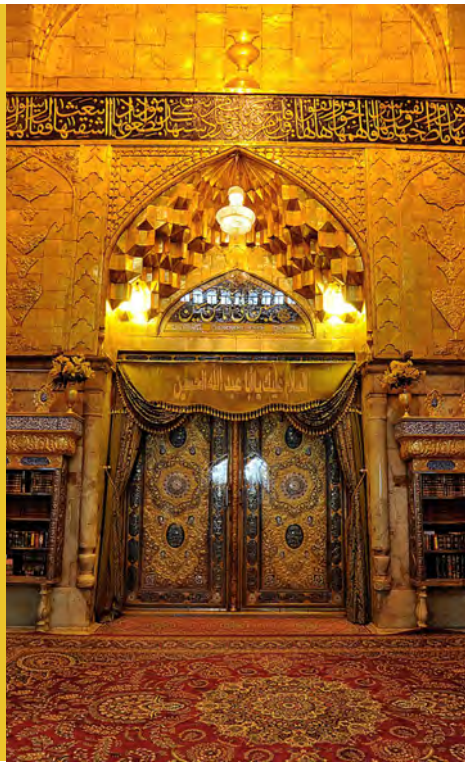

مصادر البحث

١) الديوان: ٧١
٢) الديوان: ٨٢
٣) الديوان ،إعداد عبد الرحيم ماردیني: ٩٥
٤) الديوان: ٧٤
٥) الديوان: ٩٥
٦) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور: ٢٣٢
٧) الديوان: ٨٣
٨) ينظر: البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل: ٢ / ١٩٢
٩) الديوان: ٧٤
١٠) ١٠ ينظر: أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني ، قراءة محمود محمد شاكر: ١٢ .
١١) الديوان: ١٤٤
١٢) البلاغة العربية أساليب الكتابة: د ياسين الأيوبي و محيي الدين ديب: ٣٢٦
١٣) الديوان: ٨٣
١٤) الديوان: ١٣٩
١٥) الديوان: ٨٤
١٦) ينظر: البديع وفنونه – مقاربة نسقية وبنيوية ، د شكري الطوانسي: ٢٠٠
١٧) ينظر: البلاغة العربية – قراءة أخرى: د محمد عبد المطلب: ٣٧٤
١٨) البديع وفنونه – مقاربة نسقية بنيوية: ٩١
١٩) الديوان: ١٠١
٢٠) ينظر: البديع وفنونه – مقاربة نسقية بنيوية: ٦٩
٢١) الديوان: ٧٤
٢٢) الديوان: ٨٠ - ٨١
٢٣) الديوان: ١٠١ - ١٠٢
٢٤) ينظر: الديوان: ١٨٢
٢٥) الديوان: ١٨٣

في الذاكرة

شهر رمضان

١ وفاة النائب الأول للإمام الحجة(عج) عثمان بن سعيد رضي الله عنه سنة ٢٦٦ هـ .

٢ توجه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بعشرة آلاف مقاتل لفتح مكة سنة ٨ هـ .

٣ بداية ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠١ هـ .

٤ وفاة الشيخ المفيد رضي الله عنه سنة ٤١٣ هـ .

٥ هلاك زياد بن أبيه (لع) سنة ٥٣ هـ .

٦ حفر الخندق حول المدينة سنة ٣ هـ .

٧ مبايعة الناس للإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد سنة ٢٠١ هـ .

٨ ضرب النقود باسم الإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠١ هـ.

٩ وفاة أبي طالب رضي الله عنه عم النبي وكافله سنة ١٠ بعد البعثة.

١٠ خروج النبي صلى الله عليه وآله لغزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ .

١١ وفاة أم المؤمنين خديجة عليها السلام قبل الهجرة بثلاث سنين.

١٢ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة سنة ٢ هـ .

١٣ هلاك الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٥ هـ .

١٤ مقتل المختار بن عبيدة الثقفي رضي الله عنه على يد مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ.

١٥ مولد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن بن علي عليه السلام سنة ٣ هـ.

١٦ حركة مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة سنة ٦٠ هـ.

١٧ غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ.

١٨ ليلة جرح أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة على يد الملعون عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ.

١٩ ليلة القدر (على رواية).

٣٠ ليلة القدر (الرواية الثانية).

٣١ فتح مكة وصعود الإمام علي عليه السلام على كتف النبي صلى الله عليه وآله لتطهير الكعبة من الأصنام عام ٨ هـ .

٣٢ رمضان استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة سنة ٤٠ هـ .

٣٣ البيعة للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة سنة ٤٠ هـ .

٣٤ ليلة القدر المباركة (وهي أقوى الروايات).

٣٥ وقوع حرب النهروان بين الإمام علي عليه السلام والخوارج سنة ٣٨ هـ .

٣٦ وفاة العلامة ألمجلسي رضي الله عنه سنة ١١١١ هـ .

في الذاكرة

شهر شوال

١ عيد الفطر المبارك.

٢ هلاك عمرو بن العاص سنة ٤٣ هـ.

٣ مقتل المتوكل العباسي سنة ٢٤٧ هـ .

٤ حدوث غزوة حنين سنة ٨ هـ .

٥ خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين سنة ٣٦ هـ .

٦ دخول مسلم بن عقيل الكوفة سنة ٦٠ هـ .

٧ خروج أول توقيع من الإمام المهدي (عج) إلى نائبه الثالث حسين بن روح سنة ٣٠٥ هـ

٨ هدم قبور أئمة البقيع وقبر الحمزة بن عبد المطلب سنة ١٣٤٤ هـ على يد الوهابيين

٩ هلاك عبد الملك بن مروان بن الحكم سنة ٨٦ هـ .

١٠ غزوة أحد واستشهاد الحمزة بن عبد المطلب سنة ٣ هـ .

١١ رجوع الشمس من مغيبها لأمير المؤمنين عليه السلام .

١٢ غزوة الخندق سنة ٥ هـ .

١٣ أسر الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بأمر هارون العباسي سنة ١٧٩ هـ .

١٤ استشهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام سنة ١٤٨ هـ .

١٥ وفاة المرجع الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره سنة ١٢٨٨ هـ .

وقفة مع الذكرى

فتح مكة

فتح مكة في ١٣ أو ٢٠ من شهر رمضان سنة ٨ هـ

كان صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة، ومن بنوده المهادنة لعشر سنوات، ولكن قريشاً أغرَتْ أتباعها من القبائل (قبيلة بكر حيث كانت في حلف مع قريش) على قتل جماعة من خزاعة غدرًا (وخزاعة كانت مع النبي صلى الله عليه وآله في حلف)، عندئذ زحف النبي صلى الله عليه وآله على مكة في العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة نتيجة نقض بنود الصلح والمهادنة، ودخل الرسول صلى الله عليه وآله مكة في مطلع الأسبوع الأخير من شهر رمضان . ولكن كيف كانت أعمال الرسول في

مكة؟ نعم كانت أعمال الرسول صلى الله عليه وآله في مكّة تتدفّق رفقاً وإنسانية وحناناً وهو في موقف النصر، فبينما كان سعد بن عبادة وهو أحد قادة الجيش الإسلامي يقول:

اليوم يوم الملحمة * * * اليوم تسبى الحُرَمة.

وهو يعني: إن هذا اليوم سوف نترك فيه أجسادكم أشلاء متقطّعة وتسبى حرمكم ونساؤكم، نرى أن الرسول صلى الله عليه وآله نادى علياً عليه السلام فقال له : خذ الراية من سعد ونادِ عكس ندائه، فجاء علي عليه السلام وأخذ الراية وقال :

اليوم يوم المرحَمَة * * * اليوم تُحمى الحُرَمة[1]

وقد أعلن الرسول صلى الله عليه وآله عفوه العام عن قريش (التي لم تدّخر وسعًا في إلحاق الأذى بالمسلمين حتّى شهادة جمع منهم، بل والتآمر على نفس الرسول صلى الله عليه وآله بقتله على فراشه) وأمر المسلمين أن يدخلوا مكة بروح الموادعة والرحمة والمسالمة بلا قتال. وقد دخل هو صلى الله عليه وآله بروح متواضعة راكباً على ناقته القصواء قد أحنى رأسه على رحله تواضعاً حتى كادت أن تمس لحيته الرحل وهو يقول: (لا عيش إلّا عيش الآخرة (ثم أصدر حكماً بإطلاق سراح أهل مكة جميعاً رغم ما صدر منهم إزاءه ثم قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن.

ثم خطب فيهم قائلًا: (لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده . . يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ)** ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء).

ثم أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يصلي في بيت الله ركعتين فأبى عثمان بن طلحة العبدي فتح باب البيت وقال: لو علمت أنك رسول الله لم أمنعك، فلوى علي عليه السلام يده وأخذ المفتاح من يده وفتح الباب، ودخل النبي صلى الله عليه وآله وصلى ركعتين، فلما خرج أراد العباس من النبي صلى الله عليه وآله أن يعطيه مفتاح البيت، فنزلت الآية المباركة: **(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)** فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن يردّ المفتاح إلى عثمان ويُعتذر إليه فقال عثمان لعلي عليه السلام: يا علي أكرهت وآذيت ثم جئت برفق، فقال له علي عليه السلام: لقد نزل قرآن في شأنك وتلى الآية، فأسلم عثمان[2].

١) الإرشاد١: ٦٠ و١٣٥، شرح نهج البلاغة ١٧: ٢٧٢.

٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب١: ٤٠٤

وقفة مع الذكرى

وفاة السفير الأول

عثمان بن سعيد العُمَري رضي الله عنه

وفاة السفير الأول عثمان بن سعيد العُمَري (رض) غرة شهر رمضان عام ٢٦٦ هـ.

عثمان بن سعيد العُمَري رضي الله عنه، الثقة، الزكي، الأمين، أول وكلاء الإمام المنتظر(عج)،فقد شغل مركز النيابة عن الإمام، وكان همزة وصل بينه وبين الشيعة.

تولى عثمان شرف خدمة الأئمة الطاهرين، الهادي والعسكري والحجة المهدي عليهم السلام، وكان له من العمر إحدى عشرة سنة، وقام بما يحتاجون إليه، في وقت كان من أشد الأوقات حراجة

ومحنة على أهل البيت عليهم السلام فقد فرضت السلطة العباسية خصوصًا في أيام المتوكل العباسي الرقابة الشديدة عليهم، ومنعت وصول الحقوق الشرعية التي تبعثها الشيعة إليهم، وكان عثمان يتظاهر ببيع السَمْن حتى لقب بالسَمّان، فكانت الحقوق الشرعية تصل على يده، فكان يجعلها في زقاق السمن، ويبعثها إلى الإمام الهادي عليه السلام، ومن بعده إلى ولده الحسن العسكري عليه السلام وبذلك فقد رفع الضائقة الاقتصادية عنهم، كما تولى النيابة عن الإمام المنتظر(عج).

وثاقته :كان عثمان ثقة زكيًا، عدلًا حسبما نصت عليه جميع مصادر التراجم، وقد نص على توثيقه:

١ ـ الإمام الهادي عليه السلام حين سئل:(من أعامل، وعمن آخذ، وقول من أقبل؟) .

فقال عليه السلام: (العمري ثقتي، فما أدى إليك عني، فعني يؤدي، وما قال عني، فعني يقول فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون . .) .

٢ ـ سأل شخص الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن العمري، فقال له: (العمري وابنه ثقتان فما أديا إليك فعني يؤديان، وما قالا لك: فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فهما الثقتان المأمونان).

٣ ـ وقد جاء في رسالة الامام العسكري عليه السلام إلى إبراهيم بن عبده النيسابوري: (ولا تخرجن من البلدة حتى تلقى العمري رضي الله عنه برضاي عنه، فتسلم عليه وتعرفه، ويعرفك فإنه الطاهر الأمين، العفيف القريب منّا . .) .

وهذا التوثيق وغيره مما يدل على تقوى العمري، وعظيم منزلته عند الإمام عليه السلام، وأنه من أوثق الناس، وأشدهم حريجة في الدين .

نيابته عن الإمام المنتظر(عج):

وتولى الشيخ العمري الثقة، المأمون، النيابة المطلقة والوكالة العامة عن الإمام المنتظر(عج) فكان أول السفراء في زمان الغيبة وهمزة الوصل بين الإمام عليه السلام وشيعته، وكان يحمل إليه حقوقهم ورسائلهم، وقد حظي بهذه النيابة التي لم يحظ بها غيره من ثقات الشيعة. فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالته إلى أن توفّي عثمان وتولّى ابنه أبو جعفر محمّد، فقام مقام أبيه بنصّ أبي محمّد عليه السلام عليه ونصّ أبيه عليه بأمر القائم(عج)، وعن الثقات: عن الحسن بن عليّ عليه السلام أنّه قال: (العمريّ وابنه ثقتان فما أدّيا لك فعنّي يؤدّيان، وما قالا لك فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطع، فإنّهما الثقتان المأمونان)، وبالجملة كان لا يُختلف في عدالته، والتوقيعات تخرج على يده إلى الشيعة في المهمّات، لا تعرف الشيعة غيره ولا ترجع إلى سواه.

انتقل إلى حظيرة القدس تحفه ملائكة الرحمن، غرة شهر رمضان عام ٢٦٦ هجرية، ودفن في مقره الأخير في (بغداد) بالجانب الغربي (الرصافة)، وله قبر مشيد يزوره المؤمنون.

(حياة الإمام المهدي: للشيخ باقر شريف القرشيص١٢٢، نقل بتصرف).

إضاءات السيرة

معركة بدر .. قراءة مختلفة

بقلم: رئيس التحرير

في السابع عشر من شهر رمضان المبارك وفي السنة الثانية من الهجرة، وقعت معركة بدر الكبرى التي نصر الله بها المسلمين نصرًا عزيزًا، ولا بأس في هذه الذكرى أن نتحدث عن هذه المعركة.

الإسلام دين المحبة والسلام

لم يختلف اثنان من المنصفين على أن دعوة الإسلام هي دعوة للمحبة والسلام، ولم يكن داعية إلى حرب أو قتال، لا على المستوى التنظيري ولا على المستوى التطبيقي، إلا مضطرًا لذلك دفاعًا عن النفس أو العقيدة أو المال أو الثغر.

فآيات القرآن الكريم ومن بعدها سنة النبي الأعظمﷺ توضح موقف الإسلام من هذه القضية الهامة، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً**) (٢٠٨: البقرة)، وكذلك سيرة النبَي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام ومسالمتهم مع ألدّ أعدائهم وعفوهم عنهم، لهي خير دليل على ذلك.

وقد كُتب الكثير حول هذا الموضوع ، ولا نريد تكرار ما أثبت سلفًا ، ولكن الذي نريد أن نؤكده هنا ، هو أن جميع حروب النبي ﷺ التي خاضها كانت حروبًا دفاعية مضطرًا إليها ، وليست هجومية، بما فيها معركة بدر الكبرى التي هي موضع النقاش والاختلاف والتي نعيش في أجواء ذكراها.

خطأ شائع:

دأب كثير من الكتّاب المنصفين، وصار شبه اتفاق بينهم أن جميع حروب النبيﷺ وغزواته التي خاضها في حياته والبالغة ثلاثة وثمانين غزوة ، كلها كانت حروبًا دفاعية ـ والحرب الدفاعية تعد حربًا مشروعة في جميع الأعراف ـ ماعدا معركة بدر الكبرى كانت هجومية ـ هكذا يقولون ـ، ثم يسردون كيفية تعرض النبيﷺ لقافلة قريش القادمة من الشام والتي كانت بقيادة أبي سفيان، وعلى إثر ذلك التعرض حدثت المعركة، فكانت المعركة الهجومية الوحيدة ـ حسب اعتقادهم ـ.

وهذا وَهْمٌ ولبسٌ كبير وخطأ غير مقصود، ولأجل الوقوف على الحقيقة، سنعرض الأمر من جانبيه الواقعي والمنطقي.

١- على الصعيد الواقعي

فعلى صعيد الواقع ومجريات الأحداث، لابد لنا أن نعلم: بأن النبيﷺ كان له مطلب واحد منذ أن كان في مكة وحتى بعد هجرته إلى المدينة، وهو أن تخلي قريش بينه وبين العرب، وأن تتوقف عن استغلال نفوذها عند القبائل العربية لصدهم عنه، وأن تتوقف عن دعاياتها الكاذبة ضده

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ
بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ
اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

صدق الله العلي العظيم

(آل عمران: 123)

وضد دينه، وأن تعترف بوجوده وبحقه باستقطاب الناس حوله وحول دعوته.

ولقد عبر عن هذا المطلب أحد أكبر زعمائها (عتبة بن ربيعة) حيث خاطب زعماء قريش قبل نشوب القتال في بدر قائلًا: (... فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب)[1] ـ كما سيمر علينا ـ وقريش تعلم علم اليقين أن محمدًا لا يُكره أحدًا على الدخول في دينه، ودين محمد لا يبيح الإكراه وهو قائم على القناعة، (**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**) (البقرة: ٢٥٦) فجزء كبير من شعب المدينة وما حولها، ما زال على دين اليهودية، وهذه صحيفة النبيﷺ لأهل المدينة بما فيهم اليهود خير شاهد (.... لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم)[2].

فاليهود يعيشون بسلام مع المسلمين في ذلك الوقت قبل أن يخونوا المسلمين ويتآمروا عليهم، ـ فاضطر النبيﷺ إلى حربهم أو أن يُسلموا أو يدفعوا الجزية ـ، وزعامة قريش على علم بذلك، وعلى علم بما يطلبه النبيﷺ منها، وهي تعرف قلبه الكبير، ونفسه العالية، فلا خوف من عقابه لها على عذابها له ولأتباعه، قبل هجرتهم إلى يثرب، وبالتالي فليس كثيرًا عليها أن تجيب مطلبه هذا.

فاليهود يستقطبون الناس لدينهم ولا تعترضهم قريش، والنصارى يفعلون ذلك، وعبدة الأصنام يتمتعون بالحقوق ذاتها، وقريش لا تعترضهم، ولا تضع أمامهم أي عائق، وتخلي بينهم جميعًا وبين العرب، فلماذا لا تعامل النبي محمدًاﷺ كما تعامل غيره؟ ولماذا لا تخلي بينه وبين العرب، كما خلت بين أصحاب الديانات وبين العرب؟

ولكنَّ قريشًا رفضت مطلب النبيﷺ رفضًا مطلقًا، وأصرت على ملاحقتها له وعلى إجهاض دينه، وإبطال نبوته والقضاء عليه إن استطاعت، لأنها مسكونة بالحسد لرسول الله محمد بن عبد اللهﷺ ولأهل بيته عليهم السلام!، مستغلة بذلك قدوم العرب لحج البيت أو لأداء العمرة، فمحمدﷺ مشفق وناصح لخلق الله، ويكره سفك الدم وقتل النفس التي حرم الله، فما هي الطريقة المثلى التي تحقق مطلبه دون سفك دم، ودون قتال؟

المناورة:

مكة التي تسكنها قريش (وادٍ غير ذي زرع)، وحياة سكانها تعتمد بالدرجة الأولى على التجارة، فهي عصب الحياة في مكة، فإذا اقتنعت زعامة قريش أن قوافلها إلى بلاد الشام أصبحت في خطر وتحت رحمة النبيﷺ، فالعقل والمنطق يفرضان عليها أن تتفاوض معه، لرفع الخطر عن طرق تجارتها إلى بلاد الشام، والنبيﷺ لا يطمع بالكثير، فهو يريد أن تعترف به قريش كما اعترفت بغيره، وأن تخلي بينه وبين العرب.

ورسول اللهﷺ أولى بذلك للرحم والقربى، وبالمقابل فإن محمدًا لن يعترض طرق تجارتها إلى بلاد الشام.

هذا هو أسهل الحلول لتجنب استمرار حالة المواجهة بينها وبين النبيﷺ، ومن الخير لها أن تفاوضه. وقد أرسل إليهم سبع إشارات خلال أحد عشر شهرًا، إشارات توحي لهم بتمكنه من التعرض لقوافلهم وذلك من خلال بعثه لسرايا تستعرض أمام قوافلهم، كاستعراض للقوة، مرة بقيادته ومرة بقيادة حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث وأخرى بقيادة عبد الله

بن جحش أو سعد بن أبي وقاص وغيرهم، وكل تلك السرايا قبل أن يؤمر النبيﷺ بالقتال،.. ولكن قريشًا مضت بتجاهلها للرسول، تأبى مفاوضته أو التحدث معه بأي شكل من الأشكال. ولم ير منهم إلا الجفاء والعجرفة والكبرياء والاستهانة والتجاهل وعدم الاكتراث به.

في المرة الثامنة خرج النبيﷺ مع أصحابه لاعتراض القافلة القادمة من الشام والتي كانت بقيادة أبي سفيان، الذي علم باستعدادات المسلمين للتعرض لقافلته، فأرسل إلى قريش يستنجدهم لإنقاذ أموالهم التي في القافلة فصاح مناديه في مكة: (يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة، العير العير، أدركوا أدركوا، وما أراكم تدركون، فإن محمدًا والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم التي فيها خزائنكم! . فتصايح الناس بمكة وتهيؤوا للخروج)[٣]، (ولم يتخلف من أشرافهم أحد)[٤]

الإصرار على الحرب

ثم غيَّر أبو سفيان مسير قافلته إلى محاذاة البحر، وقد نجت القافلة بالفعل، إلا أن قريشًا قد خرجت لحرب النبيﷺ انتقامًا وحقدًا منها للنبيﷺ ووأداً لدينه بعد فشل محاولاتها من إجهاضه في مكة، واتخذت من اعتراضه للقافلة ذريعة لتأليب أهل مكة عليه، ولما وصل أبو سفيان إلى مكة مع قافلته دون ضرر، أرسل إلى الجيش الخارج لملاقاة النبيﷺ رسالة جاء فيها: (إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله، فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا)[٥].

رسالة سلام.. ولكن

ولما أفلتت القافلة، أنزل الله سبحانه: (**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**) (الأنفال: ٦١)[٦]، فبعث إليهم رسول اللهﷺ مبعوثًا يحمل رسالة منه جاء فيها: (يا معشر قريش، ما أحد من العرب أبغض إليّ ممن بدأ بكم، خلّوني والعرب ، فإن أكُ صادقًا فأنتم أعلى بي عينًا، وإن أكُ كاذبًا كفتكم ذؤبان العرب أمري، فارجعوا)[٧].

(وكأنه يقول لهم أنتم قومي وعشيرتي وأبغض شيء لي أن يحاربكم أحد أو أن أبدأ بحربكم ـ رغم ما قاسى منهم ـ فاتركوني وشأني مع العرب،فإن كنت صادقًا فيما أدعي فأنتم أولى بالفخر بي وأرفع لرؤوسكم بين العرب، لأني ابنكم، وإن كنت كاذبًا أهلكتني قبائل العرب،وكفتكم أمري).

(فقال عتبة بن ربيعة: ما رد هذا قوم قط فأفلحوا، ثم ركب جملًا له أحمر وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال، فنظر إليه رسول اللهﷺ فقال: إن يكُ عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر، وإن يطيعوه يرشدوا، وخطب عتبة فقال في خطبته: (يا معاشر قريش أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر، إن محمدًا له إلٌّ وذمة، وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فإن يكُ صادقًا فأنتم أعلى عينًا به، وإن يك كاذبًا كفتكم ذؤبان العرب أمره)[٨] وقال أيضًا: (يا قوم أعصبوها برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم) وزاد البيهقي، (يا قوم إني أرى أقوامًا مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير)[٩].

(فلما سمع أبو جهل ذلك غاظه وقال: يا عتبة.. جبنت.. وتأمر الناس بالرجوع، وقد رأينا ثأرنا بأعيننا!. فنزل عتبة عن

جمله وحمل على أبي جهل وهو على فرسه فعرقب فرسه[١٠] وأخذ بشعره وقال : أمثلي يجبن؟! وستعلم قريش اليوم أيُّنا ألأَم وأجبن؟ وأيُّنا المفسد لقومه! لا يمشي إلى الموت عيانًا إلا أنا وأنت! ثم أخذ يجره بشعره! فاجتمع الناس يقولون : يا أبا الوليد! الله الله! لا تفت في أعضاد الناس تنهى عن شيء وتكون أوله . حتى خلصوا أبا جهل من يده)[١١].

(ولما أصبح رسول الله ﷺ يوم بدر عبأ أصحابه فكان في عسكره فَرَسان، وسبعون جملًا كانوا يتعاقبون عليها، وكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل لمرثد بن أبي مرثد، وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس، فلما نظرت قريش إلى قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل : ما هم إلا أكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذًا باليد)[١٢].

ولما نزلوا للمبارزة وكان عتبة أول من برز ، قال للمبارزين من المسلمين : (لعن الله من أوقفنا وإياكم هذا الموقف)[١٣].

و هنا لابد لي أن أسجل كلمة، من أن عتبة بن ربيعة كان رجلًا عاقلًا حكيمًا وله بُعد نظر بالأمور، رغم ما يحمل من أفكار العصبية الجاهلية.

النصر المؤزر

وبدأ النزال بين الطرفين، وكانت النتيجة أن قتل عتبة وشيبة والوليد بن عتبة من المشركين وأصيب عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب إصابة بالغة، استشهد على إثرها، وكان أول شهيد من أهل بيت النبي ﷺ .

ثم قامت قريش بهجوم شامل فقال رسول الله ﷺ: (اللّهمّ هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذّب رسولك، اللّهمّ فنصرك الذي وعدتني)[١٤] (اللّهمّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض)[١٥]، ثم نظر ﷺ وإذا به يقول: (هذا جبرائيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين)[١٦]، (وقد نصر الله المسلمين على عدوهم فهُزموا وكان عدد قتلى المشركين سبعين رجلًا، كما أسر المسلمون سبعين من الكفار، وعدد شهداء المسلمين أربعة عشر شهيدًا)[١٧].

فالحمد لله ناصر المؤمنين ومخزي الكافرين. (**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) (آل عمران: ١٢٣)

٢- على الصعيد المنطقي

أـ أكد كل المؤرخين والكتاب المنصفين من جميع الاتجاهات الدينية والفكرية، أن النبي الأكرم محمد ﷺ كان نبي الرحمة والسلام، ويحمل رسالة السلام لجميع الشعوب في الأرض، فهل من المنطق لداعية السلام أن يبدأ دعوته ونشر رسالته بشن حرب هجومية؟ وعلى مَنْ؟ على عشيرته وقبيلته وأبناء جلدته؟ فكيف بالأباعد والأغراب من الأمم والشعوب؟ وكيف يتسنى له دعوة تلك الشعوب إلى دين الإسلام؟ وكيف يثبت للعالم أن رسالته رسالة سلام، وهو يبدأ مسيرته بحرب؟ إلا أن يكون مضطرًا إليها ومجبرًا عليها.

ب ـ وهل أن من يريد أن يربح حربًا وينتصر، ليثبت وجوده ويكسر شوكة أعدائه وينتقم منهم ، يأتي بـ (٣١٣) مقاتل مقابل (٩٥٠) أي ثلث جيش العدو؟ أو يأتي بعدة حربية أو تموينية لا تصل في أعلى الروايات إلى عُشر ما يمتلكه أعداؤه؟ أ فمثل هذا ينوي حقًّا شن هجوم على

أعدائه ؟ هذا أيضًا خلاف للعقل والمنطق .

ج ـ دعاء النبي ﷺ حين شنت قريش هجومها على المسلمين حيث يقول: (اللّهمّ هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها....) وكلمة (أقبلت) تدل على أن قريش هي صاحبة المبادرة للهجوم عليه وليس العكس!. وكذلك دعاؤه (اللّهمّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض)، تدل على طلب النجدة والنصرة من الله سبحانه على العدو المعتدي الغاشم.

أ فبعد كل هذا تُعد معركة بدر معركة هجومية؟ كلا، بل هي حرب دفاعية كباقي حروبه التي خاضها ضد أعدائه، وأولها وأهمها (معركة بدر الكبرى)■

---

١) (تاريخ الطبري ج٢ ص١٤٧)

٢) (السيرة النبوية - ابن هشام الحميري - ج ٢ - ص ٣٤٨)

٣) (موسوعة التاريخ الإسلامي - محمد هادي اليوسفي - ج ٢ - ص ١١٣)،

٤) (تاريخ الإسلام ـ الذهبي ج٢ ص٥٦)

٥) (السيرة النبوية - ابن هشام الحميري - ج ٢ - ص ٤٥٠)

٦) (مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهر آشوب ج١ ص١٦٢)

٧) (موسوعة التاريخ الإسلامي - محمد هادي اليوسفي - ج ٢ - ص ١٢٣)

٨) (بحار الأنوار - العلامة ألمجلسي - ج ١٩ - ص ٢٢٤)

٩) (البداية والنهاية - ابن كثير - ج ٣ - ص ٣٣٩ وهامشها)

١٠) (وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة،.. عرقبت الدابة: قطعت عرقوبها) (الصحاح ـ الجوهري ج١ ص ١٨٠)

١١) (موسوعة التاريخ الإسلامي - محمد هادي اليوسفي - ج ٢ - ص ١٢٤ – ١٢٥)

١٢) (بحار الأنوار - العلامة ألمجلسي - ج ١٩ - ص ٢٢٣).

١٣) (موسوعة التاريخ الإسلامي- محمد هادي اليوسفي - ج ٢ - ص ١٢٧)

١٤) (السيرة النبوية - ابن هشام الحميري - ج ٢- ص ٤٥٣)

١٥) (تاريخ الطبري ـ الطبري ـ ج٢ ص١٣٤)

١٦) (تفسير الميزان ـ الطباطبائي ـ ج٩ ص٢٩)

١٧) مسألتان في النص على علي عليه السلام- الشيخ المفيد - ج ٢ - هامش ص ٢٣

إضاءات السيرة

صفات الرسول محمد صلى الله عليه وآله في بعض آيات الكتاب المجيد

إعداد: باسم قاسم محمد الحمداني

الإسلام دين التوازن الأخلاقي:

إن الدين الإسلامي يحارب ويدين كل محاولة من شأنها الوقوف بين الإنسان والاستجابة إلى نزعاته الفطرية الصالحة والتحرر والانطلاق في الحدود المعتدلة السوية، وهو يعلن بكل وضوح كيف يمكن زرع مكارم الأخلاق في نفوس الفقراء؟! أو كيف يمكن غرسها في ضمائر المترفين؟!

وهم يصرون على القول بأن لا مكان للفضيلة في مجتمع لا توازن ولا استقرار في أوضاعه، فالتوازن والاستقرار ضروري لحماية الفرد والمجتمع من الانحدار الأخلاقي، كقوله تعالى في سورة آل عمران (١٥): (**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**)، وفي الأعراف (٣٢): (**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**)[٢]

إن غرس القيم الإنسانية في نفس الفرد وضميره وترويض غرائزه وميوله وتهذيب أخلاقه وسلوكه وغرز عقيدة الثواب والعقاب الأخروي في فكره وزرعها في روحه ووجدانه وتطبيق أوامر الدين الأخلاقية الرائعة جنباً إلى جنب مع تشريعاته التنظيمية البنّاءة وإشاعة الفكر الديني في كافة مجالات الحياة. هو السبيل الصحيح للوصول إلى الغاية من خلق الإنسان وأن الدين الإسلامي وحده القادر على ذلك أما بقية الأديان فقد انتهت وظائفها واستنفذت أغراضها من زمن بعيد فضلاً عن أنها جميعاً لا تمتلك جوانب تنظيمية وفكرية وتراثية حضارية ضخمة وتجربة حياتية فذّة وباعتراف معتنقيها، كتلك التي يمتلك الدين الإسلامي فيها رصيداً هائلاً ورائعاً.

فالنظام الإسلامي يمسك العصا من الوسط في كل المجالات حيث لا إفراط ولا تفريط، لا يفرط بحق الفرد ولا يجنح مع أحدهما ضد الآخر بل يتخذ مرفقاً وسطاً بين هذا وذاك، وفي الوقت الذي يعتبر فيه النظام الإسلامي أن إحساس الإنسان بفرديته أمر طبيعي نراه لا يسمح له بالطغيان وتجاوز الحدود الطبيعية المعتدلة، وفي حال عدم سماحه له يتجاوز حدوده إنما يرغب في تجنيب الفرد والمجتمع بعواقبه المدمّرة المتجسدة في تسليط روح الأنانية المقيتة على سلوك الفرد وتصرفاته.

النظام الإسلامي وحده يستطيع بوسائل مدروسة وتشريعات دقيقة وقاية الفرد من هذا المرض الخبيث أن لا يتركه وشأنه بل يحاول ملازمته في كافة أدوار حياته يافعاً.. كهلاً.. وشيخاً موجهاً ومنبهاً.

النظام الإسلامي هو دين الله تعالى وبوسائله الخاصة يوحد بين المقياس الفطري للعمل والحياة وهو حب الذات والمقياس الذي ينبغي أن يقاس للعمل والحياة ليضمن السعادة والرفاه والعدالة.

وللتوحيد بين المقياسين يقوم بعملية ذات أسلوبين:-

الأول: هو تركيز التفسير الواقعي للحياة وإشاعة فهمها في لونها الصحيح.

الثاني: وهو التعهد بتربية أخلاقية خاصة تعني بتغذية الإنسان روحياً وتنمية العواطف الإنسانية والخلقية فيه.

فالنظام المتوازن هو النظام الذي لا تضيع فيه حقوق الأفراد في خضم حقوق الجماعة ولا يقتل نزعاته الفردية الفطرية الطبيعية كنزعة (حب الذات) وحب (التملك) وهذه النزعات التي تحفزه للعمل والإبداع، وتفجر طاقاته الكامنة و تدفعه للبذل والعطاء.

فالنظام المتوازن هو الذي يبني الفرد المتوازن، ومن مقومات هذا النظام هو الأسوة والقدوة التي تمثل سلوكاً حياً في كل مفردات ومجالات الحياة فجمعت بين متطلبات الحياة البشرية والهدى الإلهي والاستقامة والتقوى فكان النبي الأعظم ﷺ هو خير الناس في ذلك ومن بعده أئمة أهل البيت عليهم السلام.

صفات الرسول محمدﷺ في القرآن الكريم:

ما من أحد يتجرّأ على مقام رسول الله محمدﷺ إلا وكان جاهلاً أو باغياً.

ألا يعلم هؤلاء أنه ما أجمل أن يحب الله عبداً من عباده ويجتبيه ويصطفيه عن سائر الخلق ويصفه بهذه الصفات الكريمة في كتابه الكريم. فالرسول محمد هو صاحب المكانة الرفيعة والمنزلة السامية فهو سيد المرسلين وسيد ولد آدم ولا فخر فهو نبي الرحمة وهو صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود وهو النبي المجتبى والرسول المصطفىﷺ وهو الكامل خلقاً وخُلقاً، ونحن في هذه الأوراق نشير إلى بعض صفاته وما ذكره القرآن عنه لتكون مسيرة قرآنية لخير الناس وسيد البشر:

* الرسول محمد ﷺ منّةٌ من الله عز وجل للمؤمنين، وواحد منهم وبشر مثلهم وبيان رسالته قال الله تعالى: (**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**) (آل عمران :١٦٤).

* الرسول محمد ﷺ مبعوث إلى الناس كافة، قال تعالى: (**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ...**) (الأعراف:١٥٨)، وقال تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**)(سبأ:٢٧).

* حرصُ الرسول محمد ﷺ ورحمته ورأفته وشفقته على قومه، قال تعالى: (**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**)(التوبة (١٢٨).

* جزاء الإساءة إلى النبي محمد ﷺ، قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً**) (الأحزاب: ٥٧).

* الرسولﷺ خاتم النبيين، قال الله تعالى: (**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**) (الأحزاب: ٤٠)

* الرسول محمدﷺ شاهد ومبشر وداع إلى الله وسراج منير (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً**) (الأحزاب:٤٥،٤٦).

* الانقياد للرسول ﷺ ظاهراً وباطناً: (**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً**) (النساء: ٦٩).

* بيان فضل الله عز وجل على النبي محمد ﷺ وتأييده إياه في جميع الأحوال وعصمته: (**وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**) (النساء: ١١٣).

* حُكم الله ورسوله واحد ونهائي، وليس لأحد الاختيار أو المخالفة:(**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً**) (الأحزاب: ٣٦)

* الرسول محمد ﷺ رسول كريم: (**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**) (الحاقة:٤٠).

* الرسول محمد ﷺ لعلى خُلُقٍ

عظيم:(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(القلم :٤).

* الرسول محمد ﷺ مبعوث رحمة للعالمين:(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧).

* الرسول محمد ﷺ أسوة حسنة للمؤمنين: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللّه وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللّه كَثِيراً)(الأحزاب:٢١).

* التزكية هي التطهير من أدناس الأعمال والأقوال والأخلاق والنيات فجعل الله من صفات نبيه أنه يزكي من أصحابه وأتباعه، ولا يمكن أن تكون هذه التزكية بمجرد القول بل لابد أن يكون المزكي محمد ﷺ مثالاً حياً رفيعاً في التزكية وبخلقه الرفيع والرحمة ولين الجانب ويستحي أن يجرح مشاعر جلسائه ولو صدر منهم ما يؤذيه. ونفى عنه ما يقابلها من سوء الأخلاق. في سورة آل عمران (١٥٩): (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّه لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه إِنَّ اللّه يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).

وفي سورة التوبة:٨: (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ). وفي الأحزاب :٥٣: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً).

* شجاعته وثباته في مواقف البأس الشديد ففي معركة (أُحد) عندما دارت الدائرة على المؤمنين وفزعوا واضطربوا وانهزموا متجهين إلى المرتفعات ورسول الله محمد ﷺ ثابت لم يتزلزل، ولم يثبت معه إلا نفر يسير، في الشعراء: ٤: (**إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**)، وفي فاطر:٨: (**وَاللّه الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**)، وفي النحل :١٢٨: (**إِنَّ اللّه مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**).

يتبين من هذه الآيات مدى شفقة الرسول محمد ﷺ ممن دعاهم إلى الهداية فأعرضوا عنها حتى إنه كاد يهلك من الحزن والأسى لأنهم لم يؤمنوا وهذا يدل على ما يحمله هذا القلب العظيم من حب الخير للناس كافة.

للفضيلة نجومها

آية الله السيد مسلم الحلي أستاذ الأساتذة والمجتهدين

حيدر كاظم الجبوري
شعبة البحوث والدراسات- العتبة العلوية المقدسة

أعلام رفرفت على قمم العلم والجهاد لتنير طريق الحق والحقيقة في مدينة النَّجف الأشرف الَّتي تعد من المدن العريقة في مدارسها وعلمائها الأعاظم وأدبائها الذين ازدهرت بهم أروقة الإبداع على مرَ التأريخ لينطوي سجلّها مضيئاً بأنوار أنارت جميع الأذهان، مدينة شهدت لها العصور بأسمى منارات عانقت سماء المعرفة؛ حيث خرَّجت الكثير من الشَّخصيات العلمية البارزة وكان من بين أعلامها شخصية علمية فذَّة، تخرَّجت على يده علماء ومراجع لاتكلّ أقلامهم ولا تهدأ لياليهم إلا بصليل السيف الباشق محاربين الجهل والضلال، حتى شهدت له شمس نهار بإشراقة لن تغيب مدى العصور، هو (السَّيد مسلم الحلي) وقد عرف عنه أستاذ العلوم العقلية، ولست هنا بسبيل التَّعريف بقيمته العلمية الثرة، ولكن من باب الإكرام لهذا العالم الجليل الذي ضحى بعمره الشَّريف في سبيل خدمة العلم والمعرفة.

الاسم والنَّسب:

هو العالم آية اللّه السَّيد مسلم ابن السَّيد حمود ابن السَّيد ناصر(العالم) ابن السَّيد علي ابن السَّيد محمد ابن السَّيد حسن ابن السَّيد هاشم ابن عزَّام الصَّغير ابن محمد ابن عزَّام الكبير الحسيني الحلي.

ينتهي نسبه الشريف إلى زيد الشهيد بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين

بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

الولادة والنشأة :

ولد سيدنا المترجم له في مدينة الحلة الفيحاء عام (١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)[٢]،ودرس فيها على والده مبادئ العلوم، وعلى بعض فضلائها، وفي مقتبل عمره الشريف، وعنفوان فتوته شد الرحال إلى مدينة جده أمير المؤمنين عليه السلام النجف الأشرف، لينال شرف العلم والمعرفة، وهو في سن الحادية عشرة من عمره.

وعندما اشتد عوده وبلغ من العلم حده أرسله المرجع الديني الأعلى السَّيد أبو الحسن الأصفهاني إلى التَّدريس في مدرسته في الكاظمية المقدسة أعواماً خمسة. فكان إضافة إلى تدريسه، مديراً لمدرسته ومعاوناً للشيخ فاضل اللنكراني الذي كان كثيراً ما يستعين به في الشؤون العلمية والإدارية وفي مقررات الدروس والكتب المنهجية.

وعند وفاة الأصفهاني كرَّ راجعاً إلى النَّجف الأشرف مواصلاً للتحصيل والتَّدريس، فوجد أن إجازة اجتهاده قد سبقته، من قبل السيد الأصفهاني، والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء (دون أن يطلبها منه)،وعيَّنه مدرساً في مدرسته العلمية - محلة العمارة في النجف الأشرف- ثم صار من أبرز أساتذة الحوزة، وكان يقضي أكثر وقته في التدريس في المسجد الهندي في النجف الأشرف[٣].

ثم رجع إلى بغداد منتدباً من قبل الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، واستقر فيها بناءً على طلب أهلها، فأسس جمعية ومدرسة (جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية) حيث ازدهرت وتطورت وصار لها كيان، يشار إليه بالبنان، وكذلك أقيمت فيها الاحتفالات الدِّينية، ونشرت بعض

النَّشرات والكتب العلمية المفيدة، ولكنَّها اضمحلت عند مغادرته بغداد[٤].

ويقول السيد مسلم الحلي عن الجمعية: (... نعم أراد الله لهذه الفكرة أن تبرز من مخبئها كما شاء الله وشاءه العاملون وإذا أراد الله شيئا هيأ أسبابه، فما كانت إلا فترة قصيرة من الزمن، حتى هيأ الله – والله ولي التوفيق- فئة صالحة تهيأت لتحقيق هذه الفكرة في الخارج فهيأت نفسها للعمل فقدمت طلبًا إلى وزارة الداخلية الموقرة تستسمحها الإجازة بتكوين جمعية خيرية اسمها (جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية) ولما شاء الله لهذا العمل أن يسير ذلل له كل عقبة كأداء فما كان إلا أن جاءت الإجازة بتاريخ ١٩٤٨/١٢/٢٢م)[٥].

وقد أجازه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بالتصرف في جميع الحقوق التي ترده دعماً للجمعية فضلاً عن الدعم المادي والمعنوي من قبل تجار بغداد[٦]. وبإلحاح شديد من قبل أهالي بغداد وخصوصاً منطقة الكرخ، استجاب السيد الحلي إلى طلبهم وحل بين ظهرانيهم ثالثاً وكان ذلك في زمن مرجعية الإمام السيد محسن الحكيم. وكان أهل مناطق الكرخ يحضرون زرافات ووحدانا، لأداء الصلوات اليومية جماعة من مناطق باب السيف، والشواكة، والكريعات، والدوريين، والبيجات، ومن الحارثية، والكاظمية، والبياع، والمنصور، وحي الشرطة، وغيرها من المناطق.

أساتذته:

حضر سيدنا المترجم له عند أساطين العلماء في الفقه والأصول، منهم:

١- آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٠- ١٣٥٢هـ).

٢- آية الله الشيخ آغا ضياء الدين العراقي (١٢٧٨- ١٣٦١هـ).

٣- آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني (١٢٩٦- ١٣٦١هـ).

٤- آية الله الشيخ مرتضى الطالقاني (١٢٨٠- ١٣٦٤هـ).

٥- آية الله المرجع السيد أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥هـ).

٦- آية الله العظمى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤- ١٣٧٤هـ).

٧- آية الله السيد حسين الحمامي (١٢٩٨- ١٣٧٩هـ).

٨- آية الله السيد محسن الحكيم (١٣٠٦- ١٣٩٠هـ).

نتاجه العلمي والمعرفي:

كتب سماحة السيد المترجم له في الفقه والأصول والعقائد والأدب والفلسفة والعرفان والتفسير، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على علوّ كعبه العلمي وفوزه بالقدح المعلى في فنون الكتابة والتأليف، وصدرت بعضها في حياته، والأعظم من مؤلفاته بقي رهين الرفوف، والبعض الآخر منها تناولته أيادي العبث والسرقة والفقدان.

فمما طبع له في حياته:

أولاً- المطبوعات:

١- الميزان الصحيح أو (ملحوظة على كتاب تأريخ التشريع الإسلامي)، وقدم له العلمان الشيخان (محمد الحسين كاشف الغطاء ومحمد حسن المظفر)،وقد طبع في النجف الأشرف، مطبعة: دار النشر والتأليف ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، بالحجم الوزيري، ١٥٥ صفحة[٧]. وقد أعاد طباعته محققاً ومهذباً من قبل: السيدين (لطيف فرج الحسني)، (وسبطه السيد أسد الله

الحلي)، وهو من منشورات مؤسسة ومدرسة المجتهد الكبير السيد مسلم الحلي، دار المواهب للطباعة والتصميم - النجف الأشرف، ط٢- ١٤٣٣هـ.

٢- القرآن والعقيدة ١-٢، طبع في النجف الأشرف، مطبعة: القضاء ١٣٨٠هـ/ ٢٩٢صفحة[٨]، وطبع مرة ثانية بتحقيق: فارس حسون كريم؛ وتقديم: الدكتور محمد طه السلامي، قم، ٢٠٠٢م.

٣-الزكاة، نشرته جمعية المقاصد الإسلامية في بغداد، ١٩٥١م.

٤- الصوم ١-٢، نشرته جمعية المقاصد الإسلامية، ١٩٥٢م.

٥- الأصول الاعتقادية في الإسلام، مطبعة:الباقر- النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ، بحجم، الربع ٣٠ صفحة[٩].

٦- محاضرات في أصول العقائد، منشورات مدرسة الشيخ الخالصي في الكاظمية المقدسة، طبع في بغداد عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ٧٠ ص.

ثانياً: الكتب التي طبعت بعد وفاته:

١- مبادئ علم الدراية.طبع في قم ١٤٢٨هـ، بتحقيق الشيخ عبد الحليم عوض الحلي.

٢- ديوان شعره. تحقيق: أحمد هادي زيدان، ٢٠٠٨م، دار الصادق- الحلة، ٢٠٠ صفحة تقريباً.

٣- النَّظرات أو المنُاظرات أو نظرة في المادَّة أو مُناظرة مع الماديّين، نشر واهتمام وتعليق: السيد أسد اللّه آل العالم الحسيني الحلي،منشورات جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية -٢٦٠- مط: دار الضياء للطباعة والتصميم-النجف الأشرف، ط١- ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ٨٨ ص.

٤- العلم والعقيدة، حققه: د. فارس عزيز مسلم، طبع في دار الأرقم- الحلة، ٢٠١٠م، ٣١٣ص. (وأخبرني السيد أسد اللّه آل العالم الحلي) بأنه سوف يعيد طباعته مجدداً بعد أن عثر على نسخة الأصل بخط المؤلف مما فات المحقق الدكتور فارس عزيز مسلم.

٥- عوامل الجر. دراسة وتحقيق: أحمد هادي زيدان، مطبعة: دار الكلمة -النجف الأشرف،ط١- ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م،١٢٠صفحة.

٦- مختصر الآراء المختلفة في الوضع عند أهل اللسان. طبع بدراسة وتحقيق: أحمد هادي زيدان، الناشر: رند، دار تموز- دمشق، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ٨٠ ص. وطبع مرة ثانياً بتحقيق: السيد لطيف فرج الحسني. مراجعة واهتمام: السيد أسد اللّه آل العالم الحلي، نشر: مؤسسة ومدرسة المجتهد الكبير السيد مسلم الحلي،ط١- ٢٠١١م، ٣٠٠ص/ مط: دار المواهب للطباعة والنشر- النجف الأشرف.

ثالثاً: المخطوطة والمفقودة:

٧- المسائل في شرح الرسائل للشيخ مرتضى الأنصاري، في الأصول.

٨- بلوغ الغاية في شرح الكفاية يقع في ٣ أجزاء.

٩- التعليقة الحلية على اللمعة الدمشقية.

١٠- الأبحاث الاستدلالية في الفقه ١-٢.

١١- الطرائف العلمية والطرائف الأدبية.

١٢- النقض والإشكال على شواهد القطر.

١٣- محاضرات في شرح التجريد.

١٤- علي والغدير.

١٥- محاضرات في البلاغة العربية[١٠].

١٦- اشتراكية أبي ذر الغفاري[١١].

١٧- سكينة بنت الحسين عليها السلام.

١٨- البرزخ.

١٩- المختصر في أصول الدين.

عصره:

لقد عاصر سماحة السيد الحلي، نخبة من المراجع والشعراء والأدباء، منهم:

١- المرجع الدين الديني السيد أبو القاسم الأصفهاني.

٢- المرجع السيد محسن الحكيم.

٣- المصلح الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

٤- الشيخ محمد علي العقوبي.

٥- الشيخ عبد الحميد الصغير.

٦- الشيخ عبد المهدي مطر. وغيرهم من العلماء والأدباء[١٢].

تلامذته:

١- المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني.

٢- آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر.

٣- آية الله العظمى الشهيد الشيخ علي الغروي.

٤- آية الله العظمى الشيخ بشير حسين النجفي.

٥- آية الله العظمى السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر.

٦- آية الله العظمى السيد محمد السيد محمود الحسيني الشاهرودي.

٧- أستاذنا العلامة الأديب السيد عبد الستار الحسني البغدادي.

وغيرهم من العلماء والأدباء.

شاعريته:

كان السيد مسلم الحلي شاعراً مكثراً، وقد تفنن في الأغراض والفنون وبرع فيها، وقد ضم شعرَه ديوانٌ وما زال الكثير مخطوطاً في زوايا الإهمال.

ومن قصائده التي نظمها قصيدة في ذكر الإمام علي عليه السلام، يقول في مطلعها :

فضائلك الجُلّى تجل وترفع
يطيب بنا نطق ومرأى ومسمع
أبا حسن والحسين كل صفاته
تشرف فيها المادحون فأبدعوا

ومما نظمه مهنئاً السيد محسن الحكيم دام ظله عند رجوعه من حج بيت الله الحرام، وقد أرسلها من الحلة مع رسالة نثرية[١٣]. يقول في مطلعها :

ما قدر مدحي للإمام (الحكيم)
ومدحه وافى بذكر حكيم

أقوال العلماء فيه:

• آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء:

نظرت فيما كتبه في هذا الكتاب [الميزان الصحيح] قرة عيني بل قرة عين العلم والفضيلة والحسب والنسب والتقى والصلاح السيد مسلم الحلي(حفظه الله) فوجدته قوي الحجة، واسع الاطلاع، حسن الأسلوب، قد أعطى الحقيقة حقها ورد الحجر حيث جاء ...

• آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ بشير حسين النجفي(دام ظله):

من أولئك الأبطال الفطاحل الذين منّ الله سبحانه بهم على أمة حبيبه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله العَلم العلي السيد التقي الجليل العبقري الحائز قصب السبق في المجالات التي ينبغي أن يكون حامل راية الدين مشتملاً عليها، السيد الأجل السيد مسلم السيد حمود آل العالم الحسيني الحلي.

• وقال المرحوم العلامة الشيخ باقر شريف القرشي:

ومن الأعيان الذين تخرجوا منها سماحة آية الله العظمى السيد مسلم الحلي، فإنه كان من أفذاذ العلماء في

عبقرياته ومواهبه، وقد تخرج من مدرسته عشرات العلماء[١٤].

أولاده:

أعقب السيد المترجم له أربعة ذكور وهم:

١- فضيلة العلامة السيد عبد العزيز الحلي (ت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

٢- جناب الدكتور السيد محمد السيد مسلم الحلي، وهو بروفسور في علم الأمراض والأجنة.

٣- جناب الدكتور السيد علي السيد مسلم الحلي، وهو بروفسور في علم أمراض القلب.

٤- جناب السيد الأستاذ حسن السيد مسلم الحلي.

وفاته:

مثلما تعددت الآراء في ولادته تعددت كذلك في سنة وفاته، فالسيد حسن الفياض يذكر سنة وفاته عام (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، وذكر الدكتور جودت القزويني أن وفاته يوم الاثنين ١٧ جمادى الأولى سنة (١٤٠١هـ/ ٢٣ آذار ١٩٨١م)، والأصح أن وفاته حسب ما أفادني به جناب السيد أسد الله الحلي كانت فجر يوم الأربعاء الموافق (١٧ جمادى الأولى المصادف ٢١/ ٤/ ١٩٨١م). وكان نبأ وفاته له صدى واسع عند جماهير الحلة التي كسرت الخوف من النظام الصدامي بترديدها الشعارات الإسلامية والهتافات التي تذكر الفقيد الراحل وتمجده، بدءًا من مسقط رأسه الحلة الفيحاء حتى مسقط علمه ومدفنه النجف الأشرف، وعند وصول الجثمان صلى عليه آية الله العظمى الشيخ محمد إبراهيم الكرباسي في الصحن الحيدري الشريف، وقد ائتم به جمع من مجتهدي وفضلاء وأساتذة الحوزة العلمية، ووري جثمانه الطاهر في وادي السلام في المقبرة التي أعدها لهذا اليوم.

وقد أقيمت مجالس الفاتحة على روحه الطاهرة في مدن الحلة وأطرافها وبغداد والنجف الأشرف، ورثاه عدد ممن شهد له بالفضل من تلامذته ومحبيه وأصدقائه، نذكر منهم: قصيدتين أولها للسيد عبد الستار الحسني البغدادي، والأخرى للسيد عبد الأمير جمال الدين (عافاه الله)، نذكر منهما موضع الحاجة:

قال تلميذه العلامة السيد عبد الستار الحسني البغدادي:

عبقري، بارئ الخلق له
كل أسباب المعالي جمعا
حجة ثبت فقيه علم
سبر الأحكام طراً ووعى
فيلسوف شاعر ذو أدب
نوره الوضاء فينا سطعا

وقال الشاعر السيد عبد الأمير جمال الدين:

نابغة الرجـــال والزمـــان
بحـــلة الأمجـــاد كـل آن
السيد (مسلم) من تسامى
بالخـلق الرفـــيع والبيان
تلميذ آيات التقى بعصره
أستـــاذ أعـــلام بذا الزمان
قد حق (للفيحاء) تخليد اسمه
فهو العظيم من له يداني
فلســـــفة وحكـــمة أقـــواله
تفصح عن أفعاله الحسان
في النجف الأشرف ذاع صيته
له يشـــير الكـــل بالبنان

المصادر

١- جودت القزويني، تأريخ القزويني

في تراجم المنسيين والمعروفين من أعلام العراق وغيرهم (١٩٠٠- ٢٠٠٠م)، دار الخزائن لإحياء التراث- بيروت، ط١- ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢- حازم سليمان الحلي، السيد مسلم الحلي، مجلة أوراق فراتية، ع١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ٣٢.

٣- حسن الفياض، الموجز في سيرة آية الله العظمى السيد مسلم الحلي.

٤- حيدر كاظم الجبوري، فهرس المحققين في النجف الأشرف، مطبعة: الثقلين- النجف الأشرف، ط١- ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٥- كراس (جمعية المقاصد الخيرية المركز العام، النظام الأساسي والإداري)، مطبعة: التفيض- بغداد، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠.

٦- محمد حسين علي الصغير، السيد مسلم الحلي متميزاً، ضمن كتاب الوضع عند أهل اللسان.

٧- محمد هادي الأميني، معجم المطبوعات النجفية منذ دخول الطباعة إلى النجف حتى الآن، مطبعة الآداب- النجف الأشرف، ط١- ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦م.

٨- مسلم الحلي، مختصر الآراء المختلفة في الوضع عند أهل اللسان. تحقيق: السيد لطيف فرج الحسني. مراجعة واهتمام: السيد أسد الله آل العالم الحلي، نشر: مؤسسة ومدرسة المجتهد الكبير السيد مسلم الحلي، ط١- ٢٠١١م، ٣٠٠ص/ مط: دار المواهب للطباعة والنشر- النجف الأشرف.

٩- مقابلة شخصية مع (السيد أسد الله الحلي) حفيد السيد مسلم الحلي، بتاريخ (٣ رجب الأصب ١٤٣٦هـ/ ٢٢/ ٤/ ٢٠١٥م)، في بيته■

---

١) حازم سليمان الحلي، السيد مسلم الحلي، مجلة أوراق فراتية،ع١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ٣٢.جودت القزويني: تأريخ القزويني، ج٢٩، ص ٢٥.

٢) اختلف في ولادته، حيث اضبط العلامة الدكتور محمد حسين علي الصغير ولادته عام (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢)؛ بينما يطالعنا الدكتور جودت القزويني في تأريخه ان ولادته عام (١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م). وذكر السيد حسن فياض ان ولادته كانت في عام (١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م). ينظر: مقدمة الدكتور الصغير على كتاب (مختصر الآراء للسيد المترجم)، ص ٧١؛ تأريخ القزويني، ج٢٩/ ص ٢٥؛ الموجز في سيرة آية الله العظمى السيد مسلم الحلي، ص ٢.

٣) السيد مسلم الحلي: د. حازم سليمان الحلي، مجلة (أوراق فراتية)،ع٤،ص ٣٣.

٤) تأريخ القزويني، بتصرف، ج ٢٩، ص ٢٥.

٥) كراس (جمعية المقاصد الخيرية المركز العام، النظام الأساسي والإداري)، ص ٤- ٥.

٦) منهم الحاج باقر حمودي البغدادي، وهو عضو مؤسس، (وهو والد الدكتور الشيخ باقر همام حمودي، النائب الأول لرئيس مجلس النواب في دورته الحالية، وهو الآن ماسك بزمام الجمعية المشار إليها بعد ان جددها)، وكذلك من أعضائها الحاج بكر البغدادي، والحاج فراح البغدادي، والحاج سعيد الخانجي (وهو والد عقيلة المعاصر السيد علاء الدين الغريفي الموسوي).

٧) معجم المطبوعات النجفية، ص ٣٥٧؛ فهرس المحققين في النجف الأشرف، ص ٢٠.

٨) المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

٩) معجم المطبوعات النجفية، ص ٨٤.

١٠) مختصر الآراء المختلفة في الوضع عند أهل اللسان، ص ١٧٥.

١١) تأريخ القزويني، ج٢٩، ص ٢٩.

١٢) أنظر: السيد مسلم الحلي متميزاً: د. أ. د. محمد حسين علي الصغير، ضمن كتاب الوضع عند أهل اللسان، ص ٧٥.

١٣) تأريخ القزويني، ج٢٩/ ص ٥٩.

١٤) انظر: مختصر الآراء المختلفة.

للفضيلة نجومها

السيد حسين بن مساعد الحائري

المتوفى سنة ٩١٠هـ

د. سلمان هادي آل طعمه

رست حركة العلم في مدينة كربلاء في القرن الثالث الهجري، واتخذت منطلقاً لنشر الفكر الإسلامي، ومناراً لطلب العلم، وجامعة كبرى للإسلام، وأنجبت رعيلاً من أولئك الأعلام الذي برزوا منذ ذلك القرن على يد حفص الغاضري وعثمان بن عيسى والشيخ محمد بن عباس الغاضري والشيخ حميد بن زياد النينوي إلى يومنا هذا من الجهابذة العظام والعمالقة الأفذاذ، وما ذاك إلا لتشرفهم بأنوار أبي الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

اسمه ونسبه:

هو السيد حسين بن مساعد بن حسن بن محزوم بن أبي القاسم بن أبي عبد الله بن الحسين بن محمد بن عيسى الحسيني الحائري ينحدر من سلالة علوية تعرف بآل طوغان من آل عيسى الحسيني الذين منها العالم الفاضل والشاعر النسابة السيد حسين بن مساعد العيسوي الطوغاني من سلالة عيسى بن زيد الشهيد حفيد الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام[1].

مولده ونشأته:

ولد في مدينة كربلاء ولم تعرف سنة ولادته، ونشأ نشأة علمية صالحة في بيت علم ومجد وشرف، وقد كانت المدينة أبان القرن التاسع والعاشر حافلة بالعلم والعلماء، ودرس على جمهرة من العلماء الأبرار العلوم العقلية، فكان لهم أثر بارز في تكوينه الفكري والمعرفي، لذلك برز السيد حسين بين أقرانه ولفت الانتباه إليه، وأصبح في طليعة العلماء والأدباء الذي بلغوا درجة عالية في العلم والمعرفة.

يضاف إلى ذلك أنه كانت لديه قابلية لحفظ عيون الشعر العربي والأحاديث النبوية الشريفة وخطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فتمكن من قرض الشعر على اختلاف فنونه وأغراضه، وتخرج عالماً فقيهاً ومحدثاً بليغاً وشاعراً فذاً.

أقوال العلماء فيه:

لو تصفحنا كتب التاريخ والأنساب، لوجدنا أنَّ كل من ترجم له، يثني على جهوده العلمية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة معرفته وطول باعه. ذكره الشيخ الحر العاملي في كتابه (أمل الآمل) فقال: (السيد حسين بن مساعد الحسيني الحائري كان فاضلاً صالحاً له كتاب تحفة الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار حسن وغير ذلك)[٢].

وقال عنه شيخنا أغا بزرك الطهراني: (العالم أنسابه مؤلف (تحفة الأبرار) (الذريعة ق ١٤٥٤) ينقل عنه الكفعمي والمجلسي، وقد كتب بخطه عمدة الطالب وفرغ منه في ٢٩ ربيع الأول ٨٩٣ هـ عن نسخة كتابتها ٨١٢هـ وهي عن خط المؤلف وكتب عليه حواش كثيرة وذكر تمام ما مرَّ من نسبه في بعض تلك الحواشي وذكر اتصال نسب جملة ممن رآهم إلى بعض المذكورين في العمدة منهم من رآه في سبزوار ٩١٧هـ. وفي سمنان في نفس السنة، ولعله سافر في تلك السنة إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام وله خاتم مدور كبير نقش فيه الرباعية المنسوبة إلى الأمير عليه السلام.

رضيت بما قسم الله لي
وفوضت أمري إلى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى
كذلك يحسن فيما بقي

وفي وسط الخاتم (عبده حسين بن مساعد الحسيني) وكتب في آخره فرغ من مشقه لنفسه فقيرُ عفوِ اللّه تعالى وسكن رحمته: أقل العباد عملاً وأكثرهم جرماً وأصغرهم على النار جزماً العبد الفقير بل تراب قدم كل فقير الراجي عفو الملك حسين بن... الخ) ولما وصل في العمدة في ذكر أولاد الحسين ذي الدمعة إلى الشريف أبي المكارم محمد بن يحيى النقيب حمزة بن محمد بن الحسن الزاهد بن الحسين ذي الدمعة، قال مؤلف العمدة (إنه حفظ القرآن الكريم وكذا آباؤه إلى أمير المؤمنين عليه السلام كان يلقي كل أب ابنه) وذكر استبعاد بعض النسابين ذلك بأن والد الحسين ذي الدمعة قتل وله سبع سنين ولم يكن قائلاً للتلقين عنه فكتب الحسين المترجم له في الحاشية أن والدي لقنني القرآن ولي سبع سنين أو أقل رأيت كثيراً من الناس كذلك)[٣].

والمترجم له ـ كما أشرنا إليه قبل قليل

ـ عالم فذ وأديب ضليع قوي الحجة واسع الاطلاع ورع تقي شاءت له الإرادة الأزلية الحكيمة طالعاً حسناً حظاً سعيداً لينال أكبر نصيب من العلم والمعرفة وليكون أسعد أئمة المعرفة في عصره، فشخصت إليه الأبصار، ورددت الأفواه اسمه مقروناً بالتجلّة والإكبار، وشاع صيته شيوع النور في الآفاق. وكان له قدم راسخة في علم النسب، وقد أعد مشجرات بخط يده لأسر كربلاء العلوية القديمة، ومنها مشجرة السادة (آل النقيب)، ومن آثاره مصنفه الشهير (تحفة الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار).

كانت وفاته بعد سنة ٩١٧هـ، وفي هذا التاريخ خلاف، فإن الشيخ محمد السماوي أرخ وفاته سنة ٩١٠هـ، كما في هذه الأبيات التي يقول فيها:

تم الحسين بن مساعد الأبي
وجـــامع الأخبـــار بعد النسب
الموسوي الحائري قد مضى
لربه بها فأرخه (قضى)٩١٠هـ [٤]

وذكره الباحث نور الدين الشاهرودي في كتابه (تاريخ الحركة العلمية في كربلاء) فقال: (كما برز في القرن التاسع على ساحة العلم بكربلاء السيد عز الدين حسين بن مساعد الحائري، كان عالماً متبحراً وأديباً مبرزاً، ومحققاً قوي الحجة، واسع الاطلاع، ورعاً، تقياً، اشتهر بمعرفته الدقيقة في الأنساب، حيث عمل عدة مشجرات بخط يده للعديد من الأسر العلوية القديمة في كربلاء، وترك آثاراً مصنفة منها كتابه (تحفة الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار) وهو من سلالة علوية قديمة في كربلاء تعرف بآل طوغان الحسينيين)[٥]، وعلى ذكر آل طوغان، فقد جاء في كتاب (مدينة الحسين): وآل طوغان من المخزوميين الحسينيين ومنهم العالم الفاضل النسابة حسين بن مساعد العيسوي الطوغاني الحسيني، من سلالة عيسى بن زيد الشهيد حفيد الإمام السجاد عليه السلام، وباسمهم سميت محلة (آل عيسى) في كربلاء، توفي سنة ٩١٠هـ)[٦].

شعره:

لما شب السيد حسين عن الطوق، حفظ اللغة والأدب، عرف منه بقوة الذاكرة واستحضار الحجة وخفة الروح، فشعره جزل، منسجم الألفاظ، عذب العبارة، حسن الاستعارة، جيد التشبيه، مشبوب العاطفة، فهو قد كلف بحب أهل البيت عليهم السلام، وهم الذين شرفهم الله وفضّلهم على سائر خلقه.

قال في مديح الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار من قصيدة جاء فيها:

لِطَيِّ قريضي في مديحكم نشر
ومنثور شعري في علاكم له نشرُ
فوصلكم روح وراح وراحة
وبعدكم موت وقربكم نشرُ
وظاهر شعري فيكم المدح والثنا
وباطنه يا سادتي الحمد والشكرُ
وطالعه كالشمس زهر ونوره
تقاصر عنه في مطالعه البدرُ
عزائمه تجلى فتجلي صوادئ
القلوب ومن ألفاظها ينثر الدرُ
يقر لها حسان بالحسن إذ بدت
وقال زهير أن أوجهها زهرُ
ألا أيها العادون عني وعلمهم
أحاط بأني ليس لي عنهم صبرُ

وإني كالخنساء فيكم وقد غدا
مفارقها محبوب مهجتها صخرُ
وقفت على المغنى الذي كنتم به
حلولاً ومغناكم وقد بنتم قفرُ
وكادت تروح الروح مني تأسفا
بذكر مصاب كلما دونه نزرُ
مصاب رسول الله في آله الأولى
تقاصر زيد من علاهم كذا عمرو
أئمة هذا الخلق بعد نبيهم
بناة العلى قد طاب من ذكره ذكرُ
هم التين والزيتون هم شافعوا الورى
هم السادة الأطهار والشفع والوترُ
هم مهبط الوحي الشريف وهم غداً
سقاة الزلال العذب من ضمه الحشرُ
هم إن ترد علماً وسيلة آدم
ونوح نبي الله حين طمى البحرُ
بهم سأل الله الخليل وناره
تؤجج غيظاً فانطفا ذلك الجمرُ
ويعقوب لما أن توسل سائلاً
بهم جمعته مع أحبّته مصرُ
وأيوب في بلواه لما بهم دعا
شفاه من البلوى وفارقه الضرُ
فدتهم نفوس الجاحدين فطالما
هم جاهدوا حقاً فكرّوا وما فروا
وكم قصرت أعمار قوم تسرّعوا
إليهم وكم طالت بأقدامهم بترُ
وكم أنجزوا وعداً وكم موعداً وقوا
وكم من وعيد أصدقوه وكم بروا
سيوفهم في النقع تحسب أنها
تؤلف برقاً والدماء لها نهرُ
وتحسب أن زجر الرجال زماجر
الرعود ووجه الأرض أسود مغبرُ
قواضبهم مبيضة يوردونها
تصدر حمراً بالنجيع لها غمرُ
وكم نصبوا صدراً لرفع مهند
وكم جزموا أمراً وكم ذابل جروا
أحاط بهم في كربلاء عصابة
يزيدية عن غدرها ما لها عذرُ
فقاموا بما قد أوجب الله ربهم
إلى أن تفانوا أو انقضى ذلك العمرُ
فديتهم كم جالدوا دونه وكم
أعدّ لهم في يوم حشرهم أجرُ
إلى أن قضى الله العلي قضاءه
وقد حان حين السبط واقترن الأمرُ
بكته السماوات الشداد فدمعها
دم ظل منه وجهها وهو محمر
سأبكيه ما دام الدوام فإن أمت
بكاه لعمري بعدي الشعر والنثرُ
فديتك ليت الدهر بعدك لم يكن
ولا انعقدت سحب ولا قطر القطرُ
ولا طلعت شمس ولا ذر شارق
ولا اخضرّ نوار ولا انفجر الفجرُ
وإن سلوى للمصاب محرم
بعيد إذا هل المحرم والعشرُ
بني أحمد سيقت إليكم قصيدة
مهذبة ألفاظها الدرر الغرّ
حسينية تزهو لكم حائرية
منزهة عما يُصاب به الشِّعرُ(٧)

وقال في قصيدة أخرى يرثي بها أهل البيت عليهم السلام ويشيد بمآثرهم وفضائلهم، فما أحسن قوله:

قلبي لطلول بعادكم يتفطرُ
ومدامعي لفراقكم تتفطرُ
وإذا مررت على معاهدكم ولا
ألفى بها من بعدكم من يخبرُ
هاجت بلابل خاطري ووقفت في
أرجائها ودموع عيني تهمرُ
غدر الزمان بنا ففرق شملنا
والغدر طبع فيه لا يتغيرُ
ردوا الركاب لعل من يهواكم
يومًا بقربكم يفوز ويظفرُ
قد كدت لما غبتم عن ناظري
لأليم هجركم أموت وأقبرُ
لكن مصاب محمد في آله
أنسى سواه فغيره لا يذكرُ
السادة الأبرار أنوار الهدى
قوم مآثر فضلهم لا تنكرُ
أمر الخلافة ليس إلّا فيهم
فقد ارتدوا بردائها وتأزروا
أهل المكارم والفوائد والندى
وبذلك القرآن عنه يخبرُ[٨]

---

١) عمدة الطالب ـ أحمد بن عنبة ص٢٦٦ (النجف ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م)
٢) أمل الآمل ـ للشيخ الحر العاملي ج٢ ص١٠٢ (النجف ١٣٨٥هـ)
٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة الشيخ أغا بزرك الطهراني ج٣ ص٤٠٥ .
٤) مجالي اللطف بأرض الطف ـ للشيخ محمد السماوي ص٦٨ (النجف ١٩٤١م).
٥) تاريخ الحركة العلمية في كربلاء ـ نور الدين الشاهرودي ص٤٤ و٤٥ (بيروت ١٩٩٠م).
٦) مدينة الحسين ـ محمد حسن الكليدار آل طعمة ج١ ص٦٨ (بغداد ١٩٤٧م).
٧) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ج٢٧ ص٢١٢
٨) أعيان الشيعة ـ ج٢٧ ص٢١٢و ٢١٣ .

شهر رمضان في حديث الإمام الصادق عليه السلام

❁ قال الإمام الصادق عليه السلام: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ الله اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ الله يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ) فَغُرَّةُ الشُّهُورِ شَهْرُ الله عَزَّ ذِكْرُه وهُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ وقَلْبُ شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ونُزِّلَ الْقُرْآنُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَاسْتَقْبِلِ الشَّهْرَ بِالْقُرْآنِ.

❁ روي عنه عليه السلام: يُوصِي وُلْدَه إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَاجْهَدُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّ فِيه تُقَسَّمُ الأَرْزَاقُ وتُكْتَبُ الآجَالُ وفِيه يُكْتَبُ وَفْدُ الله الَّذِينَ يَفِدُونَ إِلَيْه وفِيه لَيْلَةٌ الْعَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ.

❁ وعنه عليه السلام أيضاً: مَنْ لَمْ يُغْفَرْ لَه فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَمْ يُغْفَرْ لَه إِلَى قَابِلٍ إِلَّا أَنْ يَشْهَدَ عَرَفَةَ.

(الكافي/للكليني ج٤ ص٦٨ باب فضل شهر رمضان)

في النفس والمجتمع

أثر شهر رمضان في تنمية الولاء التنظيمي في شخصية الفرد المسلم

أ.م.د. نجم عبد الله الموسوي
كلية التربية/جامعة ميسان

إنَّ لشهر رمضان المبارك ارتباطاً وثيقاً بحياة الفرد والمجتمع المسلم ، فهو الذي يعطيه الحيوية البالغة في بناء شخصيته، ويحفظها من الضياع والتلاشي في متاهات الشهوة والغريزة بشتى أنواعها، فمن فيوضات هذا الشهر المبارك أنه يثري الإنسان بأساليب وسبل عبادية خالصة تجعله قريبًا من اللّه تعالى، كما أنها وسيلة لتهذيب النفس، وواسطة في كبح جماحها ومسك عنانها، وإنقاذها من الانقياد وراء صيحات الشيطان وإغراءاته وأهدافه .

فكما أن الصوم في هذا الشهر الفضيل يقوي هذه الرابطة الإيمانية بين العبد وربه فيحس الفرد المسلم بأنه قريب من اللّه تعالى، روحاً وجسداً وفكراً وعقلاً، فإن الصوم يعتبر إحدى الروابط المهمة في حياة المجتمع الإسلامي، ووسيلة لإيضاح انتماء الفرد المسلم إلى بيضة الإسلام وإلى بلده وموطنه المسلم، وأنه جزء من مجتمع إسلامي كبير يشعره بهذا الانتماء الحقيقي الرصين، وبالتالي يسهم في الحفاظ على هويته الإسلامية العريقة وإن عاش في بلاد الغربة والاغتراب، زيادة على ذلك فالصوم لا يخلو من أثر تربوي في حياة الفرد كفرد

وحياته كفرد داخل المجتمع المسلم، فهو من أهم وسائل الاتصال الروحي التي تجعل من الفرد يعيش في جوٍّ ايمانيٍّ صادرٍ من جماعة تنتمي بوجودها إلى اللّه تعالى وتؤمن به وتطبق تعاليمه وشريعته السمحة وتسير على ما رسمته.

وعلى هذا الأساس اعتنى المسلمون بهذا الشهر العظيم عناية كبيرة لأنه فرض من اللّه تعالى أولاً ولكونه جزءًا من شخصيتهم ونموذجهم الديني وفخرهم بما يحويه من أجواء الرحمة والبركة والإيمان والأجر ثانياً، وكما لا نغفل عن كون شهر رمضان ليس شهراً عبادياً محضاً فقط، وإنما هو وسيلة تربوية أخلاقية نفسية بنائية عقلائية تسهم في صياغة وتكامل الفرد الإنساني وتسعى به نحو تحقيق الكمال وإكسابه السعادة في الدنيا والآخرة، فالصوم هو الأداة التي يستطيع الفرد من خلالها السيطرة على حركاته وسكناته وميوله واتجاهاته وغرائزه وسلوكه ورغباته حتى المشروعة منها، وبمقدار نموه في هذه الجوانب يتوقف قربه وابتعاده عن اللّه جلت قدرته.

ومن مظاهر اهتمام المجتمع الإسلامي بشهر الصوم، أن تنشط فيه حركة التزاور الاجتماعي وتبادل المودة والمحبة بين الناس وارتياد المساجد والسير على نمط حياتي موحد ومتشابه بين الأفراد كافة، يبدأ من لحظة الإمساك إلى لحظة الإفطار، هذه الأجواء تجعل الفرد المسلم يعيش داخل مجموعة أفراد يسايرونه في الكثير من التصرفات والسلوك الثابت للجميع، الأمر الذي يغرس في نفسية الصائم أنه لا حالة تمايز بينه وبين الآخرين، بل الكل خاضعون لمخطط رباني يسير ويسري مفعوله على كل من يدين بدين الإسلام في أيام هذا الشهر الفضيل.

وتجلى اهتمام المسلمين بأجواء هذا

الشهر الفضيل أن ظهرت وبرزت العديد من البرامج والمناهج المرسومة من قبل المعصوم عليه السلام سواء كان الرسول محمد صلى الله عليه وآله أو من الأئمة المعصومين عليهم السلام، هذه البرامج ما هي إلا وسيلة تكميلية تعمل على إضفاء صبغة العبادة الحقيقية لشهر رمضان المبارك، وكما لا يفوتنا أن نذكر أن الكثير من العبادات المستحبة في شهر رمضان المبارك يبارك الشرع المقدس بها أكثر عندما تقدم على شكل جماعي مثل قراءة القرآن وهذا ما نلاحظه في العتبات المقدسة في بلادنا الحبيبة وقراءة الأدعية، ومن المؤكد أن الرؤية التربوية لهذه البرامج هو خلق الإنسان الاجتماعي المتعاون المتفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه وينتمي إليه.

ونرى العديد من المسلمين يعملون على خلق ديمومة التواصل مع الله بنطاق جماعي يسهم إسهاماً كبيراً في زيادة موائد العطاء الرباني ضمن منهج بنقل الفرد من دائرة التعبد الفردي إلى دائرة أوسع تمكنه من التماس العفو في ظل جماعية موحدة.

وبعد بيان أهمية هذا الشهر المبارك لا بد من تعريف مصطلح الولاء التنظيمي، فهو استعداد الأفراد لبذل الطاقة والوفاء اللازمين لتطبيق التعليمات والقوانين ضمن دائرة المجموعة التي ينتمون إليها .

والولاء التنظيمي (Organizational Commitment) يقصد به مدى قدرة الفرد على الاندماج والتكيف مع المجموعة التي ينتمي إليها، الأمر الذي يجعله يتمتع بالانسجام والرضا والقبول والتفاعل مع أبناء المجتمع الآخرين.

ولقد أكد العديد من الباحثين المتخصصين في علم النفس أن الشخص الذي لديه ولاء للتنظيم الذي يعيش فيه، تكون نفسيته أكثر انسجاماً ولديه نسبة عالية من الرضا والقبول والتفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه، ونحن الآن بأمس الحاجة إلى أن يكون لدى كل فرد منا ولاء تنظيمي يجعله يشعر بانتماء حقيقي للمجموعة التي هو جزء منها، ولا سيما أننا نعيش في عصر يتسم بكثرة الصراعات والنزاعات والنظرة الفردية الضيقة والابتعاد عن القيم الروحية الأصيلة .

ولا ننسى أن موضوع ولاء الفرد للمجموعة التي يعيش معها وينتمي إليها يترك آثاراً إيجابية كبيرة على سلوكه وأدائه وعمله، فيجعله إنسانًا متحركًا في داخل مجتمعه.

ومن هنا يأتي دور شهر رمضان المبارك في تحقيق هذا الولاء من خلال استعماله أساليب ووسائل روحية منطلقة من رسم خطوات سير مغايرة للخطوات التي كان عليها الفرد طيلة الأشهر الأُخر.

من هنا ينبغي للفرد والمجتمع المسلم، أنْ يكونوا ملمين بمبادئ الصوم الملائمة، من تربية وتهذيب ومنهج عبادي وبرامج عبادية وحشد طاقاته كافة، لأنها تعد من أهم الوسائل التي تعين الفرد لبناء مرتكزاته الدينية، وهكذا لا بد من التأكيد على عملية الإعداد التربوي والروحي وتدريب النفس تربوياً وروحياً للتغلب على الصعوبات التي تواجهها، وهناك العديد من الآثار التربوية للصوم على مستوى الولاء التنظيمي للفرد، والتي منها:

١. إنَّ فريضة الصوم، تتم بصورة واضحة عن طريق انتماء الفرد إلى مجموعة، والتفاعل بينه وبين مجموعة المسلمين والمؤمنين في إنجاز الواجب

العبادي المحدد لهم، بحيث يتحمل كل فرد، جزءً من المسؤولية الفردية والجماعية، وبهذا يكون عملهم وهدفهم مشتركاً، وهو إنجاز البرنامج العبادي الذي ينتمون إليه، الأمر الذي تكون فيه المجموعة الإسلامية الصائمة وحدة واحدة، يشترك الأفراد كلهم في عمل واحد، وعدم الاشتراك ـ إلا بعذر ـ يؤدي إلى الفشل، والابتعاد عن الحالة الاجتماعية الموحدة وهذا الشعور يفتقده الذي لا يشترك في هذه العبادة .

٢. إنَّ الأفراد المسلمين في المجتمع الإسلامي، تحصل لديهم حالة اندفاع نحو العبادة الجماعية لأنَّ هذه العبادة من الأساليب الناجحة في التأثير في الأفراد والمجتمعات، وهي طريقة فاعلة تقضي على الملل والعجز والكسل والخمول وتنمي الصبر والتحمل وتقوي شخصية الفرد.

٣. إنَّ استعمال هذه العبادة والذوبان فيها يعطي للأفراد دوراً اجتماعياً كبيراً، ويشعرهم بالإنتاجية والوحدوية مع الآخرين، ويجعلهم متفاعلين مع الآخرين الذين يشاركونهم في الأفعال نفسها.

٤. إنَّ الروح الجماعية والمسؤولية التي تلقيها هذه العبادة على عاتق القائمين بها تجعلهم يقبلون على الله بنشاط دؤوب، وفاعلية مستمرة أفضل من الآخرين الذين يفقدون هذه الفريضة المقدسة.

٥. إنها عبادة حيوية تشجع القائمين بها على مواجهة كل ما يعترض طريقهم من مشكلات وصعوبات، وإيجاد الحلول المناسبة لها وذلك لأنَّ الموقف العبادي فيها يقوي عزيمة الفرد وإرادته وينمي لديه الصبر والتحمل وقوة الإرادة والمواجهة وعدم التهرب من الصعاب .

٦. إنَّ الشعور الجماعي بشهر رمضان يحقق فوائد ومزايا عديدة، لعل أبرزها وأهمها تبادل الخبرات بين المسلمين، مما ينتج إمكانية أنْ يتعلموا من بعضهم البعض الكثير من الأشياء، فتتعدد مصادر تعلمهم واطلاعهم الديني والثقافي والفكري، وبالتالي يحسن المستوى التربوي والعبادي والأخلاقي والنفسي.

٧. إنَّ الذوبان الحقيقي للعبادة الجماعية، جاء بديلاً للتغلب على الفردية المحضة،لأن العمل عن طريق الجماعات يعبر عن نظام طبيعي للحياة، والعبادة بهذه الطريقة تجمع بين النمو الفردي، والنمو الاجتماعي للفرد المسلم، مما قد يسهم في تربية ذات أبعاد متعددة.

٩. إنَّ العبادة الجماعية التي يتضمنها الصوم تؤثر في ترسيخ القيم المنبثقة في أذهانهم، ونستطيع أنْ نسميه بأنه ترسيخ نشط، لأنه يشجع الفرد ويدفعه إلى العبادة والمشاركة في الأداء والتفكير والتفكر.

١٠. إنَّ فريضة الصوم تعمل على خلق الصحة النفسية المتزنة لدى الفرد، لأنها تسعى أن يكون فيها الفرد متوافقاً نفسياً وعقلياً وشخصياً وانفعالياً واجتماعياً مع نفسه ومع الآخرين ويكون قادراً على تحقيق ذاته واستغلال قدراته وإمكاناته إلى أقصى حد ممكن ويكون قادراً على مواجهة مطالب الحياة وتكون شخصيته متكاملة وسوية ويكون سلوكه طبيعياً.

١١. إن هذا الشهر يساعد على تحقيق الصحة النفسية كحالة دينامية (case of dynamic) وهي حالة متميزة بالراحة والاطمئنان الجسدي والنفسي والاجتماعي وتكون واضحة في قدرة الفرد على إقامة صلات اجتماعية تتميز بالأخذ والعطاء والتعاون والتسامح والعفو.

في النفس والمجتمع

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم، وغضوا أبصاركم، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا) .

اجتناب المفطرات المعنوية للصيام.. ارتقاء بالنفس والمجتمع

د. محمد كاظم الفتلاوي

كلية التربية المختلطة / جامعة الكوفة

من المعلوم أن هناك مفطرات مادية كالأكل والشرب وغيره..أوضحها الفقهاء في الفقه، ولكن إلى جنب هذه المفطرات المادية هناك مفطرات لا تقل شأناً عن المفطرات المادية، بل ربما تكون أكثر ضرراً بالصيام ليس على مستوى الفرد بعينه، بل على مستوى المجتمع المسلم ككل، وهذه المفطرات يمكن أن نصطلح عليها بالمفطرات المعنوية والتي يجب أن يتجنبها الصائم ليتحقق بها المعنى الحقيقي للصيام، ومنها:

١. **الورع عن محارم الله سبحانه**، ففي جملة من خطبة الرسول صلى الله عليه وآله، قال الإمام علي عليه السلام: (فقمت، فقلت: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله)[1]. فالورع عما حرم الله تعالى من أسمى صور العبادات

عموماً، إلا أنه في الصيام له دوره المتميز لتحقيق مضامينه العالية باعتبار أن فريضة الصيام مما لا يطلع عليها إلا الله سبحانه في الغالب فيكون الإنسان لهذا أكثر حذراً.

٢. **عفة اللسان وغض البصر:** يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، ثم قال: قالت مريم: (**إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا**) (مريم:٢٦)، أي صمتاً، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم، وغضوا أبصاركم، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا. قال: وسمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تسب جارية لها وهي صائمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام، فقال لها كلي، فقالت:إني صائمة، فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك، إن الصوم ليس من الطعام والشراب)[٢].

فالترقي عن المحرمات والشبهات والتحرز عن الشهوات بتهذيب الجوارح، يعكس آثار الصوم على سلوك الإنسان ويحقق مقصوده المتمثل في كسر شهوات النفس وكبح جماحها.

٣. **الامتناع عن الغيبة:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ومن اغتاب أخاه المسلم بطل صومه وانتقض وضوؤه، فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحلٌّ لما حرّم الله)[٣]. لأن الغيبة مُفسدة للروح وغشاوة عليه، وهي مُهجّرة للحسنات ومجلبة للسيئات، وهي أدام أهل النار هي (في غير الصوم حرام، فكيف بالصوم وهو العبادة لتطهير وتزكية النفس)[٤].

> قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
> (ومن اغتاب أخاه المسلم بطل صومه وانتقض وضوؤه، فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحلٌّ لما حرّم الله)

٤. **حفظ الجوارح عن القبائح:** يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إذا أصبحت صائماً فليصم سمعك وبصرك من الحرام، وجارحتك وجميع أعضائك من القبيح، ودع عنك الهذي وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصائم، والزم ما استطعت من الصمت والسكوت إلا عن ذكر الله ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك...)[٥].

٥. **كراهة القُبلة والملامسة بشهوة:** عن الأصبغ بن نباته قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أُقبل وأنا صائم؟ فقال له: (عف صومك، فإن بدو القتال اللطام)[٦].

وهذا تعريض للنفس الإنسانية للشهوة وتغليب عليها وشغلها عما يُراد منها من ذكر الله تعالى وتربية لها على الصبر، إذْ مَنْ حام حول الحمى كاد أن يقع فيه؛ وهو الواضح من تحذير أمير المؤمنين عليه السلام.

فعلى ذوي البصائر أن يقفوا على هذه الشرائط وغيرها وقفة تأمل، حيث لا وصول إلى الغايات السامية في العبادة إلّابتلمس حقائقها، ومن دون ذلك لا يرتقي الإنسان إلى روح العبادة الصحيحة، ويكون حظه كمن يقول في حقه أمير المؤمنين عليه السلام: (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ)[٧]، لأن هذا الإنسان لم يُعبّد جوارحه بـ(حضور القلب الذي هو روح

العبادة، والذي ترتبط به حقيقة العبادة، ومن دونه لا يكون له أهمية، ولا تقع مقبولة في ساحة الحق المتعالي)[٨]، فتُرد ولا تُقبل هذه العبادة وإن أداها الإنسانمن غير إقامتها، فيقع آنذاك الخسران الذي لا خسران بعده، بعد أنْ أفرغ هذه العبادة من محتواها وغايتها.

ومما تقدم نلحظ أن للصوم درجات يرتقي بها المسلم الصائم، ويمكن تقسيمها على النحو الآتي[٩]:

الأولى: صوم العموم: وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، وهذا لا يفيد أزيد من سقوط القضاء والاستخلاص من العذاب، فهذه الدرجة من الصوم هي الامتناع عن المباحات، بغية أداء هذه العبادة وإسقاط المطالبة بها، وبهذا يكون الإنسان أكثر امتناعاً عن المحرمات التي ربما كان يقترفها في غير أداء الصيام، وإلّايكون هذا الإنسان هازلاً أكثر منه صائماً، وقريباً من الشيطان أكثر مما يراد منه القرب إلى الله سبحانه، يقول الشيخ محمد أمين زين الدين(ت١٤١٩هـ): (وما ظنك بعبدٍ يمسك عن منهيات الصوم من المباحاتٍ والمحرمات ليرضي ربه بهذه العبادة، ثم يرتكب تلك الجرائر أو بعضها؟! ومن المضحك المبكي أن يقول مع ذلك، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)[١٠].

الثانية: صوم الخصوص: وهو الكف عن المذكور، مع كف البصر والسمع واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن المعاصي، وعلى هذا الصوم تترتب المثوبات الموعودة من صاحب الشرع.

الثالثة: صوم خصوص الخصوص: وهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأخلاق الردية، والأفكار الدنيوية، والكف عما سوى الله تعالى بالكلية، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر في ما سوى الله واليوم الآخر، وحاصل هذا الصوم إقبال بكنه الهمة على الله، وانصراف عن غير الله تعالى، وهذه الدرجة من أرقى درجات الصيام وأسماها شأناً ومقاماً، وهو صوم الصفوة المنتجبة الخالصة من الأنبياء عليهم السلام، و أ و صيا ئهم ا لمعصو مين عليهم السلام، وهذه الدرجة مما يسعى إليها الإنسان ليصل بذلك على أقل تقدير إلى الحد الأدنى، وإلّافإن هذه الدرجة هي بالحقيقة صوم خصوص الخصوص، وهذا مما لا يثبط العزائم عن بلوغها إذ العدالة المكتسبة غير العصمة، والتابع غير القائد المتبوع، والكامل المتزايد في غير الكمال، غير الناقص المتكامل، والمستضيء بنوره غير المضيء المنير، والله سبحانه هو مؤتي

الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

(إذا أصبحت صائماً فليصم سمعك وبصرك من الحرام، وجارحتك وجميع أعضائك من القبيح، ودع عنك الهذي وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصائم، والزم ما استطعت من الصمت والسكوت إلا عن ذكر الله ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك)

كل نفس ما هي له أهل وموفيها جزاء ما كسبت من منزلة ومن ثواب أو عقاب، فالإنسان بالتالي هو الذي يرقي نفسه في سمو الطاعة والتنافس الحقيقي، إذا ما توكل على الله تعالى وهيأ نفسه . والحمد لله رب العالمين■

١) الحر العاملي، وسائل الشيعة:١٠/ ٣١٥، والمجلسي، بحار الأنوار: ١٩٠/٤٢.
٢) الكليني، الكافي: ٤/ ٨٧ .
٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٦٠٢/٨، والمجلسي، بحار الأنوار: ٢٦٣/٧٣ .
٤) مصطفى السباعي، أحكام الصيام وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٥.
٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٠/١٦٥، المجلسي، بحار الأنوار: ٩٣ / ٢٩٢
٦) المصدر نفسه: ٩٩/١٠ .
٧) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٣٤٤/١٨.
٨) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً: ٤٨١.
٩) للتوسعة: ظ الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣٢٩/١، محمد مهدي النراقي، جامع السعادات: ٣٨١/٣
١٠) كلمة التقوى، الناشر: السيد جواد الوداعي، ط٢، ١٩٩٣م: ١٠٤/٢.

ماذا قال الغربيون عن الصيام في شهر رمضان المبارك؟

* **مستر كلارك:** أحد كبار معتنقي الإسلام وكان مديرًا للأمن القومي في عهد الرئيس الأمريكي نيكسون- يقول: (لقد كان الصوم سببًا في اعتناقي الإسلام لأنه كان علاجاً جذرياً لمرض الصداع النصفي (الشقيقة) الذي عانيت منه على مدى عمري الطويل دون أن يفلح علاج من العلاجات في خلاصي منه، وعندما قرأت قول النبي ﷺ بدأت الصوم الإسلامي على عين أحد الأئمة، فما أن انتهى الشهر حتى اختفى الصداع نهائياً، والحمد لله رب العالمين.

* **روبرت بارتول:** وهو طبيب أمريكي من أنصار العلاج الدوائي للزهري يقول : (لا شك في أن الصوم من الوسائل الفعالة في التخلص من الميكروبات، ومن بينها ميكروب الزهري، لما يتضمنه من إتلاف الخلايا ثم إعادة بنائها من جديد وتلك نظرية التجويع في علاج الزهري).

* **ماك فادون:** من علماء الصحة الأمريكان- يقول: (إن كل إنسان يحتاج إلى الصوم، وإن لم يكن مريضاً لأن سموم الأغذية تجتمع في الجسم، فتجعله كالمريض فتثقله ويقل نشاطه فإذا صام خف وزنه، وتحللت هذه السموم من جسمه، وتذهب عنه حتى يصفو صفاءً تامًا.

ويستطيع أن يسترد وزنه ويجدد خلاياه في مدة لا تزيد عن ٢٠ يوماً بعد الإفطار، لكنه يحس بنشاط وقوة لا عهد له بهما من قبل.

في النفس والمجتمع

ثقافة التعاون والتسامح واحترام الاختلاف منهج إسلامي أصيل

د. مجيد حميد الحدراوي
كلية الآداب /جامعة الكوفة

((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ))

(سورة البقرة:١٨٥)

كم لهذا الشهر الكريم من مزايا وفضائل ففيه بدأ نزول القرآن، وهو دستور الإسلام، ومنبع علومه، وحارس شريعته، وفيه انتصر المسلمون في أول غزوة وهي غزوة بدر الكبرى، فاستقرت دولتهم، وقويت شوكتهم، وأصبحوا أمة ذات سلطان وهيبة، بعد أن كانوا قومًا مهاجرين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، وفيه ليلة القدر التي هي بنص القرآن الكريم خير من ألف شهر.

يمتاز شهر رمضان بهذه الميزات الثلاث، وكل واحدة منهن ذات معنى خاص، وأهمية كبيرة: (فإذا أهلّ شهر رمضان فإنه يذكّر المسلمين بهذه الفضائل، وينبههم إليها تنبيهاً قوياً وكأني بالقرآن الكريم يطلّ من علياء سمائه على المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض مع هلال رمضان فيناديهم: أنا الهدى فهل من مهتد؟ أنا النور فهل من مستضيء؟ أنا شعار مجدكم، وعنوان عزكم، ورمز عظمتكم، أنا هدية الله إليكم، أنا رحمة الله فيكم، أنا المنهاج القويم، أنا الصراط المستقيم، بي تعزون، وبمبادئي تسودون، فاعتصموا بي فأنا حبل الله، واستظلوا بلوائي فأنا ظل الله (**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**) فإذا أنصت المسلمون إلى هذا النداء، وأجابوا داعي الله فأصلحوا أنفسهم، ورجعوا إلى كتاب ربهم، فأجدر بهم أن ينالوا مجد الدنيا ومجد الآخرة)[1]

القرآن الكريم أفضل كتب الله أنزله على أفضل رُسله، فكان آيته الكبرى الخالدة على الزمان، أودعه الله إياه من علم وإيحاءات وإرشادات، ومن تهذيب للنفوس وتقويم للأخلاق، وأنه لا ينافي علماً ثبتت صحته بالدليل والبرهان، ولا يعارض صلاحاً يمكن البشر أن يعتمدوا عليه في إصلاح شؤونهم، وإقرار السلام والأمن بينهم، وما تزال مبادئه ومُثله وقواعد أحكامه ومناهجه هي النور الذي يهدي الحيران، ويرد الشارد، ويضيء آفاق الحياة ولن يزال كذلك في مستقبل الدهور والأزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

فما أحوجنا في هذه الظروف العصيبة التي تعيشها أمتنا الإسلامية حيث تشتد بها ظواهر التعصب والتفرق والتباعد بين المسلمين إلى إشاعة ثقافة القرآن: التعاون والتسامح وقبول الآخر، التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بها، فالإسلام من أشد أديان الأرض حرصًا على التفاهم والتقارب وأصدقها رغبة في التعاون والتضامن: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**) (الحجرات: ١٠) (**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**) (ال عمران: ١٠٣)، (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**) (المائدة: ٢).

وفي ما يلي جملة من آراء عدد من العلماء الأعلام في هذه المفاهيم الحيوية والتي بينوا فيها وجهة النظر الإسلامية الأصيلة ، ففي هذا المجال أكد السيد حسن بحر العلوم في كتابه: (المجتمع المدني في الفكر الإسلامي)، على أن التسامح مفهوم إسلامي أصيل يشير إلى معنى اليسر والسهولة في المعاملات وغيرها مما يتسامح فيه الناس ويتساهلون، فالإسلام دين السماحة لا ضيق فيه ولا تعصب، ولا غلو ولا تطرف ولا عنف ولا إرهاب سواء مع الذات أو الآخر، إذ ألغى الإسلام التمايز على أساس القومية أو الطبقية أو اللون وقد أكد القرآن الكريم على المساواة وعلى أهمية التقوى كمقياس للكرامة الإنسانية عند الله تعالى: (**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**) (الحجرات:١٣)

إن المجتمع الذي تغيب فيه روح التسامح يكون من السهل اختراقه وإشاعة الفتن بين أفراده ، لأنه غير محصن ضدها مهما كان متطورًا من النواحي التقنية

والمدنية ، فهو سيكون عرضة لحالات اليأس والاضطراب وغيرها من الأمراض النفسية، لأن وسائل الحياة الحديثة لا تتعامل مع روح الإنسان بل تقدم خدماتها لجسده تاركة روحه تغرق في مستنقعات الألم. ولأجل أن يكون التسامح فاعلًا ومطبقًا ينبغي أن نؤمن به كقيمةٍ داخل ذواتنا لا أن نحمله شعارًا أجوف فوق صدورنا، وبهذه الكيفية قد نكون قاب قوسين أو أدنى من أولئك الذين تحدث عنهم القرآن الكريم بقوله تعالى: (**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) (آل عمران:١٣٤)[٢].

ويعتقد الشيخ محمد جواد مغنية أن مفهوم الاختلاف في الرأي وفي فهم الدليل حالة طبيعية، فأصول الإسلام لا اختلاف فيها بين المسلمين وتعدد الفرق الإسلامية نشأ من الاختلاف في أصول المذهب لا في أصول الدين، لذا فالخلاف بين السنة والشيعة الإمامية كخلاف السنة في ما بينهم، وعلماء الإمامية فيما بينهم[٣]، ويؤكد الشيخ مغنية أن هذه الخلافات كلها مرتبطة بالشريعة،لم يخالف واحد منها نصًّا من نصوص الإسلام وأنها رحمة لهذه الأمة[٤]، ويقترب من هذا المعنى الشيخ محمد علي الزعبي في مقال له نشرته مجلة العرفان الصيداوية جاء بعنوان: (الدين الإسلامي دين المدنيّة) فقد وضح فيه أن أئمة المسلمين لم يختلفوا في الأمور الجوهرية، واختلافهم في الفروع يدل على حيوية التشريع وصلاحه للخلود مؤكدًا أن الخلاف في الرأي لا يفسد في الود قضية[٥] ويؤكد الكاتب نفسه في مقال آخر جاء بعنوان: (الفرق الإسلامية في لبنان) أن الشيعة والسنة في الإسلام سواء ((إذ السنة شيعة، أي يتشيعون لأهل البيت النبوي ويوالونهم، والشيعة سنة أي يعملون بما ثبت عن رسولﷺ وإذا علمنا أن أبا حنيفة وهو أمام جمهور كبير جدًا من أهل السنة هو تلميذ لجعفر الصادق عليه السلام، وهو أبرز أئمة الشيعة، تحققنا أن الأستاذ والتلميذ نهلا من بحر واحد هو القرآن ...))[٦].

أما الاختلاف من وجهة نظر السيد بحر العلوم أنه سُنّة فكرية وقانون الهي، خصوصًا في الأفكار، فهو من طبيعة البشر، قال تعالى: (**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**) (هود:١١٨)، فالإنسان بفطرته يحمل سر اختلافه فكريًا عن الآخرين، والتنوع والاختلاف حالة صحية وضرورية في المسيرة الثقافية، وثقافة الاختلاف تعني ضمنًا عدم الخلاف والانشقاق، ومن فوائد الاختلاف والتنوع أنه يساعد على إنتاج رؤى فكرية جديدة، وأنه من ضرورات التكامل، وهو إرادة ربانية وقانون الهي حكيم (**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**) (السجدة١٣) .

مما تقدم يظهر أن التطرف والتعصب والتكفير ظواهر دخيلة على الدين الإسلامي ولا تمت إلى سماحة الإسلام بشيء، وللتسامح قيمة كبرى في الإسلام فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية ومن مساواة في غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري، بحيث حثا ديننا الحنيف على الاعتقاد بجميع الديانات، فقد قال الله تعالى في سورة البقرة (..**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**) (البقرة: ٢٨٥). والتسامح ليس هو التنازل أو التساهل أو الحياد

اتجاه الغير، بل هو الاعتراف بالآخر. إنه الاحترام المتبادل والاعتراف بالحقوق والحريات الأساسية للآخرين، الأمر الذي ينتج عنه تحقيق العيش المشترك بين شعوب يطبعها التنوع والاختلاف، والاختلاف حالة طبيعية تحدث بين أتباع الدين الواحد والمذهب الواحد فكيف مع الآخر المختلف في الدين أو المذهب ؟ ؟ ، لذا يجب السعي لنشر ثقافة الاعتدال والتعايش السلمي بين المسلمين بعيدًا عن التعصب الذي لا يجلب إلا الخراب والدمار، ولنحاول أن نكون في اختلافنا مجددين لقيم الخير التي يأمرنا بها ديننا، والذي ينتج الثراء المعرفي والفكري ويقود إلى تطوير قيم حرية الفكر واحترام الآخر والتعايش السلمي ■

---

١) السيد هبة الدين الشهرستاني، رمضان رمز تقريب القلوب وتأليف الشعوب،مجلة رسالة الإسلام، العدد الثالث، القاهرة: دار التقريب، ١٩٤٩، ص٢٥٠-٢٥١.

٢) المجتمع المدني في الفكر الاسلامي/ السيد حسن بحر العلوم،ص١١٣.

٣) من الفقه الجعفري والفقه الحنفي/ محمد جواد مغنية،(مجلة العرفان)، مج ٣٥، العدد٩، أيلول ١٩٤٨، ص١٣٥١.

٤) م.ن. مج ٤١، العدد١، تشرين الثاني١٩٥٣، ص٣٣ – ٣٤ يقترب من هذا المعنى ايضًا الشيخ عبد الله القلقيلي مفتي الأردن. للتفصيل ينظر: عبد الله القلقيلي هذه أمة واحدة، (العرفان)، مج ٤١، العدد ٩، تموز ١٩٥٤، ص٩٩٩ – ١٠٠٢.

٥) الدين الإسلامي دين المدنية/ محمد علي الزعبي، (مجلة العرفان)،مج ٤١، العدد ٢، كانون الاول ١٩٥٣، ص١٣٤

٦) م.ن. مج ٤٢، العدد ١، تشرين الثاني١٩٥٤، ص٩ – ١٠.

مناجاة التائبين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[إِلهِي أَلْبَسَتْنِي الخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتِي وَجَلَّلَنِي التَّباعُدُ مِنْكَ لِباسَ مَسْكَنَتِي وَأَماتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنايَتِي فَأَحْيِهِ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يا أَمَلِي وَبُغْيَتِي وَيا سُؤْلِي وَمُنْيَتِي ، فَوَ عِزَّتِكَ ما أَجِدُ لِذُنُوبِي سِواكَ غافِرًا وَلا أَرى لِكَسْرِي غَيْرَكَ جابِرًا وَقَدْ خَضَعْتُ بِالإِنابَةِ إِلَيْكَ وَعَنَوْتَ بِالاسْتِكانَةِ لَدَيْكَ ، فَإِنْ طَرَدْتَنِي مِنْ بابِكَ فَبِمَنْ أَلُوذُ وَإِنْ رَدَدْتَنِي عَنْ جَنابِكَ فَبِمَنْ أَعُوذُ ، فَوا أَسَفاهُ مِنْ خَجْلَتِي وَافْتِضاحِي وَوالْهَفاهُ مِنْ سُوءِ عَمَلِي وَاجْتِراحِي ، أَسْأَلُكَ يا غافِرَ الذَّنْبِ الكَبِيرِ وَيا جابِرَ العَظْمِ الكَسِيرِ أَنْ تَهَبَ لِي مُوبِقاتِ الجَرائِرِ وَتَسْتُرَ عَلَيَّ فاضِحاتِ السَّرائِرِ وَلا تُخْلِنِي فِي مَشْهَدِ القِيامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ وَغُفْرِكَ وَلا تُعْرِنِي مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَسَتْرِكَ ، إِلهِي ظَلَّلَ عَلى ذُنُوبِي غَمامَ رَحْمَتِكَ وَأَرْسِلْ عَلى عُيُوبِي سَحابَ رَأْفَتِكَ ، إِلهِي هَلْ يَرْجِعُ العَبْدُ الآبِقُ إِلَّا إِلى مَوْلاهُ ؟ أَمْ هَلْ يُجِيرُهُ مِنْ سَخَطِهِ أَحَدٌ سِواهُ ؟ إِلهِي إِنْ كانَ النَّدَمُ عَلى الذَّنْبِ تَوْبَةً فَإِنِّي وَعِزَّتِكَ مِنَ النَّادِمِينَ ! وَإِنْ كانَ الاسْتِغْفارُ مِنَ الخَطِيئَةِ حِطَّةً فَإِنِّي لَكَ مِنَ المُسْتَغْفِرِينَ ! لَكَ العُتْبى حَتَّى تَرْضى ، إِلهِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَلَيَّ وَبِحِلْمِكَ عَنِّي اعْفُ عَنِّي وَبِعِلْمِكَ بِي ارْفِقْ بِي ، إِلهِي أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبادِكَ باباً إِلى عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ فَقُلْتَ تُوبُوا إِلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً فما عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الباب بَعْدَ فَتْحِهِ ؟ إِلهِي إِنْ كانَ قَبُحَ الذَّنْبُ مِنْ عَبْدِكَ فَلْيَحْسُنِ العَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ ، إِلهِي ما أَنا بِأَوَّلَ مَنْ عَصاكَ فَتُبْتَ عَلَيْهِ وَتَعَرَّضَ لِمَعْرُوفِكَ فَجُدْتَ عَلَيْهِ ، يا مُجِيبَ المُضْطَرِّ يا كاشِفَ الضُّرِّ يا عَظِيمَ البِرِّ يا عَلِيماً بِما فِي السِّرِّ يا جَمِيلَ السِّتْرِ اسْتَشْفَعْتُ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ إِلَيْكَ وَتَوَسَّلْتُ بِجَنابِكَ وَتَرَحُّمِكَ لَدَيْكَ ، فَاسْتَجِبْ دُعائِي وَلا تُخَيِّبْ فِيكَ رَجائِي وَتَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَكَفِّرْ خَطِيئَتِي بِمَنِّكَ وَرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ] .

طروحات عامة

تحديد مصير البشر في ليلة القدر

فارس رزاق الحريزي
كاتب وباحث

قال تعالى:
(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ).

الحمد لله الذي رفع شأن ليلة القدر وجعلها قدراً مقدوراً ومقاماً مسطوراً، وجعلها خيراً من ألف شهر ليكون ذنب العابدين مغفوراً والصراط السوي موفوراً، والسعي المقبول مشكوراً، وعملهم بالطاعة مبروراً، لذا حق علينا إحياؤها بسرور سامق، والتوسع بالطاعات. والصلاة والسلام على النبي المبعوث الذي أنزل عليه القرآن وفضّل سبحانهُ ليلة القدر وجعل العبادة فيها خيرًا من ألف شهر ليظهر مكانته على الأنبياء، والسلام على آله الأتقياء. وقد أشار العرفاء والمتألّهين أن العمل في هذه الليلة وصيامها وقيامها خير من ألف شهر أي أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، إذ قال رسول اللّه ﷺ: (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه)[1].

إذ يقبل على اللّه بقلب مخلص مفعم بالطاعة، وذو الرأفة والرحمة اختار التبتل بنعم اللّه سبحانه عليه وحسناته الذي ساعده إلى اصطفاء القربة بالطاعة والعبادة والابتعاد عن الحوب الكبير بعد أن أيقن بعقله الوثاب، والفهم واستنباط الأسباب

فِيهَا يُفْـــــرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ

وبتوفيق من الذي لا يوازيه كريم، ليكون قدوة صالحة في كل الأمور حيث في ذلك دواء لداء القلوب أي إتعاب النفس في فعل الطاعات، وترك المحرّمات والسبق إلى الأعمال الصالحات، والإخلاص في ذلك دون رياء وبمعارج عالمة بأنها على حقّ وهداية ورشد، أهداه من يقبل الحسنات.

تؤكد السورة إنزال القرآن في ليلة القدر، وأنها تُفضَّل على ألف شهر حيث تنزل الملائكة والروح فيها إلى الأرض، وقد بيّن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنها مدنية وقد سميت هذه السورة بالقدر من (باب تسمية الشيء باسم جزئه فقد كانت مشتملة على لفظ القدر فسمّيت باسمه)[٢] وهي ليلة مباركة، إذ قال تعالى: (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ**) (الدخان:٣) وهي من شهر رمضان، قال تعالى: (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**) (البقرة: ١٨٥) فمدلول الآيات يوحي أن للقرآن نزولين:

أحدهما: جملياً (دفعياً) وهو نزول القرآن بأجمعه على قلب النبي صلى الله عليه وآله أو على البيت المعمور عندما انهمر فيض الوحي على قلب الرسول صلى الله عليه وآله في ليلة القدر في شهر رمضان، تنزلت ملائكة الرحمة والروح بالقرآن، رسالة السلام وبشير الرحمة، عندئذ خلد الله هذه المناسبة المباركة التي عظمت في السماوات والأرض وجعلها ليلة مباركة خيراً من ألف شهر، كذلك نزل القرآن كله على قلب الرسول صلى الله عليه وآله في تلك الليلة[٣].

ثانيهما: النزول التدريجي الذي تم في مدة ثلاث وعشرين سنة كما يشير إليه قوله تعالى: (**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً**) (الإسراء: ١٠٦) وقوله: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**) (الفرقان: ٣٢).

وقد أشار أغلب العرفاء والمفسرين أن المراد بالقدر التقدير، فهي ليلة التقدير، يقدر الله فيها حوادث السنة من الليلة

إلى مثلها من قابل من حياة وموت ورزق وسعادة وشقاء وغير ذلك لذا استنبط اللفظ منه، فهي ليلة الأقدار المقدرة، أي تقدير شؤون الخلائق، بل وقال البعض أنها ليلة جليلة القدر، قد أنزل الله فيها كتاباً قديراً، والذي يحالفه الحظ ويقبل الله منه ذلك الإحياء يكون عند الله ذا قدر عظيم، وقالت فاطمة عليها السلام: (محروم من حرم خيرها)[٤] وشرف لا يضاهيه شرف، إلى من أتى فيها بالطاعة والعبادة، وبالصدق وقوة الإرادة، فلا ريب إذا صار ذا قدر وشرف لأن الطاعة أكثر ثواباً وقبولاً. ومن شرفها أنه نزل فيها كتاب ذو قدر، على لسان ملك ذي قدر، إلى أمة ذوي قدرة، لذا ينبغي على الأمة الطاعة والعبادة، حيث لا يكون دعاء ومسألة أفضل من ذلك، حيث إن الدعاء يعني الاعتراف بالذلة والنقص والعجز عقلاً ولساناً وهيئة، وأنه لا فرح إلا من لدن سيده الذي خلقه. والملاحظ من الأخبار المتظافرة على العترة الطاهرة، بل روايات العامة المعترف بها، تؤكد جميعاً أن ليلة القدر يقدّر فيها الآجال والأرزاق والغنى والفقر، والصحة والمرض، والهزال والسمن، والعزة والذلة خلال عام.

ملخص تفسير السورة:

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ): إنّ الضمير في (أنزلناه) يعود إلى القرآن قطعاً، والإبهام الظاهري في ذكر اسم القرآن هو لبيان عظمته وأهميته، وفي العبارة إشارة أخرى إلى عظمة هذا الكتاب السماوي، فقد نسب الله نزوله إليه، وإن نزول القرآن في ليلة القدر دليل آخر على أهمية هذا الكتاب السماوي[٥].

(**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**) إن السر في ذلك تفخيم الوقت الذي أنزل فيه القرآن لما في تلك العبارة من الدلالة على أن علوّ قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها إلا علام الغيوب[٦] فتكون عادة كناية عن قدر هذه الليلة وعظم منزلتها، لذا فينبغي علينا التوسع في الطاعات وأعمال الخير بقناعات، ليبلي علينا الابتعاد عن المحنة والابتلاءات وقطف المرجح الحسن الذي يعزب عن الضيق الشديد.

(**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**) هو كذلك يدل على شرف هذه الليلة وفخامتها فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله (أرى أعمار الأمم قبله، فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثلما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، وجعلها خيرًا من ألف شهر)[٧]، لذا نؤكد في هذا الزمان وإن قصرت الأعمار فلنتبارز من منا أطولها عمراً والذي يكون عادةً أطوع لله وأورع عن محارمه، وكثير الخير والإحسان، فليتسع في اليوم العصيب في أكل ما لذّ وطاب لكونه كان متأنيًا غير عجول.

(**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ**) وقد جاء في تأويل هذه الآية أنها نزلت في دولة الرسول التي كانت خيراً من دول الظالمين من بني أمية، فعن الحسن بن علي عليه السلام قال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أُري بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت (**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**) يعني نهراً في الجنة، ونزلت سورة القدر التي فيها ليلة القدر خير من ألف شهر التي يملكها بعدك بنو أمية[٨]، وتحقق ذلك إذ كانت حكومة بني أمية ألف شهر لا تزيد ولا تنقص.

(**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ**) يتحقق لدينا سؤال مَلحّ

هل إن ليلة القدر خاصة بزمن الرسول ﷺ فقط؟

الجواب الصحيح، أنها لم تكن خاصة بزمن الرسول ﷺ لكون (تنزل) فعل مضارع يدل على الاستمرار (والأصل تتنزل) بل هي ليلة تتكرر في كل عام باستمرار.

وأما الروح فهو مخلوق عظيم يفوق الملائكة، وروي أن الإمام الصادق عليه السلام سئل عن الروح وهل هو جبرائيل عليه السلام قال: (جبرئيل من الملائكة والروح أعظم من الملائكة أليس إن الله عز وجل يقول: (**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ**)[٩] ومن اللافت للنظر رواية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لابن عباس: (إِنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي كُلِّ سَنَةٍ وإِنَّه يَنْزِلُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَمْرُ السَّنَةِ وإِنَّ لِذَلِكَ الأَمْرِ وُلاةً بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صف قُلْتُ مَنْ هُمْ فَقَالَ أَنَا وأَحَدَ عَشَرَ مِنْ صُلْبِي)[١٠].

(مِّن كُلِّ أَمْرٍ) بكل خير وتقدير، فالملائكة تنزل في ليلة القدر ومعها كل تعيين للمصائر، وكل خير وبركة.

(**سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**) تصف هذه الأهمية ليلة القدر وبأنها مفعمة بالخير والرحمة والسلام حتى الصباح (إذ القرآن نزل فيها، والعبادة فيها تعادل عبادة ألف شهر بدونها، وتنزل فيها الخيرات والبركات، ويكبل فيها الشيطان بالسلاسل، فهي ليلة سالمة مقرونة بالسلامة، ومملوءة بالنور والرحمة والخير والبركة والسلامة والسعادة من كل الجهات)[١١]. وقد أشارت أحاديث أئمتنا العظام عليهم السلام، بأنها محصورة في ليلة إحدى وعشرون أو ثلاثة وعشرين. وفي ليلة التسع عشرة أيضاً. وقد قال الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل، قال: (اطلبها في تسع عشرة، وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين)[١٢]. وفي حديث آخر للصادق عليه السلام: (التَّقْدِيرُ فِي لَيْلَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ والإِبْرَامُ فِي لَيْلَةِ إِحْدَى وعِشْرِينَ والإِمْضَاءُ فِي لَيْلَةِ ثَلَاثٍ وعِشْرِينَ)[١٣].

ولعظمة هذه الليلة وكرامتها وردت عشرات الأحاديث عن النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام، في فضلها، نذكر بعضًا منها:

١. روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا كان ليلة القدر، تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى، ومنهم جبرائيل، فينزل جبرائيل عليه السلام ومعه ألوية، ينصب لواء منها على قبري، ولواء على بيت المقدس، ولواء في المسجد الحرام، ولواء على طور سيناء، ولا يدع فيها مؤمنًا، ولا مؤمنة، إلا سلم عليه، إلا مدمن الخمر، وآكل لحم الخنزير، والمتضمخ بالزعفران)[١٤].

٢. وعن الإمام الباقر عليه السلام: (مَنْ قَرَأَ إِنَّا أَنْزَلْنَاه فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَجْهَرُ بِهَا صَوْتَه كَانَ كَالشَّاهِرِ سَيْفَه فِي سَبِيلِ اللَّهِ ومَنْ قَرَأَهَا سِرّاً كَانَ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِه فِي سَبِيلِ اللَّهِ ومَنْ قَرَأَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ غُفِرَتْ لَه عَلَى نَحْوِ أَلْفِ ذَنْبٍ مِنْ ذُنُوبِه)[١٥].

٣. وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (قرأت إنا أنزلناه في ليلة القدر، حين دخلت على أبي جعفر ـ المنصور العباسي ـ وهو يريد قتلي فحال الله بينه وبين ذلك فلما قرأها حين نظر إليه لم يخرج إليه حتى ألطف هو قيل له بما احترست قال بالله وبقراءة إنا أنزلناه في ليلة القدر فقلت يا الله يا الله سبعًا إني أتشفع إليك بمحمد وأن تغلبه لي، فمن ابتلي بمثل ذلك فليصنع مثل صنعي ولولا أننا نقرأها ونأمر بقراءتها شيعتنا لتخطفهم الناس ولكن هي والله لهم كهف)[١٦].

لماذا خفيت ليلة القدر؟

هناك الكثير من الأشياء أخفاها الخالق عن خلقه لحكمته، قد نعرف بعضها أو قد لا نعرف، ومنها على سبيل المثال:

١ـ إخفاؤه سبحانه الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، ليحافظ الناس على جميع الصلوات. (**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**) (البقرة: ٢٣٨)

٢ـ وكذا أخفى اسمه الأعظم في أسمائه الحسنى، ليدعوا الناس ربّهم بجميع أسمائه، ولئلّا يلزم الناس مفسدة في طلبهم بالاسم الأعظم للأغراض الفاسدة وسوء المصير ولما سعى بعضهم إلى ثواب الآخرة، والاستفادة لمغفرة من المرجح يوم القيامة، وكما في إخفاء ساعة الإجابة.

٣ـ وكما في إخفاء ذنب أقسم الله بأن يدخل فاعله في نار جهنم، لكي يترك الناس جميع الذنوب.

فكذا ليلة القدر أخفاها الله تعالى حتى يجتهد المكلّف في الطاعة ويحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلباً لموافقتها فتكثر عبادته ويتكرر تبتله وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرّطوا في غيرها وكانت مبهمة، بخلاف ما إذا علموا عينها لتقاصرت الهمم على قيامها فقط، وإنما اقتضت الحكمة الإلهية إبهامها لتعم العبادة، ويكون الاجتهاد في العشر الأخيرة أكثر والالتماس من الخالق بالدعاء في جميع الأوقات وفي شهر رمضان لاسيما أوتار الثلث الأخير من الشهر.وعن النبي صلى الله عليه وآله: (أنها ليلة مُلْحَةٌ ساكنةٌ سمحةٌ لا باردةٌ ولا حارةٌ تطلع الشمس صبيحة ليلتها ليس لها شعاع كالقمر ليلة البدر)[١٧].

وصفوة الكلام للبيان القرآني في تأثير عمل الإنسان بتغير مصيره، قال تعالى: (**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**) (الرعد: ١١).

وقال تعالى: (**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**) (الصافات: ١٤٣، ١٤٤).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا يزيد في العمر إلّا البرّ ولا يرد القدر إلّا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها[١٨].

وقد ذكر بعض المحققين أن القضاء والدعاء يعالجان والحكم لما غلب ومن غلب سلب. والحمد لله ربّ العالمين■

---

١) فضائل الأشهر الثلاثة/الشيخ الصدوق/ص١٣٦.
٢) مطلع البدر في تفسير سورة القدر: ص١٤.
٣) من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، ج١٢، ص٢٧٥.
٤) دعائم الإسلام/القاضي النعمان المغربي/ج١ص٢٨٢.
٥) تفسير الأمثل، ج٢٠، ص٣٤٤.
٦) مطلع البدر في تفسير ليلة القدر، ص٤٥ .
٧) القرطبي، ج٢٠، ص١٣٣، الدر المنثور، ج٦، ص٣٧١ .
٨) نفس المصدر السابق.
٩) تفسير الأمثل، ج٢٠، ص٣٤٦.
١٠) الكافي /للكليني/ج١ص٢٤٧.
١١) تفسير الأمثل، ج٢٠، ص٢١١.
١٢) وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣٦٠ .
١٣) الكافي، ج٤، ص١٥٩.
١٤) تفسير مجمع البيان/الطبرسي/ج١٠ص٤٠٩ .
١٥) الكافي /للكليني/ج٢ص٦٢١.
١٦) مهج الدعوات/السيد ابن طاووس/ص١٨٦ .
١٧) مستدرك الوسائل، ج٧، ص٤٦٨ .
١٨) سنن ابن ماجة/ج١ص٢٤.

طروحات عامة

الإسلام منهاج حياة

الشيخ حيدر الشكري
باحث وخطيب

أخذ بعض المغالطين من بعض الاتجاهات الفكرية الفاسدة بإثارة شبهات واهية حول الإسلام، كفصله عن تنظيم الحياة، واتهام الشريعة المقدسة بأنّها هي التي أنشأت النفاق في الأُمة، إضافة إلى عدم وجود حقوق للمواطَنة في التشريع الإسلامي.

وخشية منا على جيل الشباب من التأثر بمثل هذه الأفكار المنحرفة، ولتفنيد تلك المغالطات التي لا تصمد أمام الحقائق الناصعة للشريعة الغراء، والرد عليها، كان هذا الطرح المختصر وبما يسع له المقام.

الأمر الأول:

الدين لغة واصطلاحاً:

دين: والجمع الأديان، يقال: دان بكذا ديانة، وتديّن به فهو ديّن ومتديّن. وديّنت الرجل تديناً إذا وكلته إلى دينه، والدين: الإسلام، وقد دنت به أو في حديث الإمام عليعليه السلام: (محبة العلماء دين يدان به). والدين: العادة والشأن. تقول العرب: ما زال ذلك ديني وديدني أي عادتي[1].

دين: الديان: من أسماء اللّه– عز وجلّ – معناه الحكم القاضي. وسئل بعض السلف عن الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام، فقال: كان ديان هذه الأمّة بعد نبيها، أي: قاضيها وحاكمها. والديان: القهار[2].

العلاقة بين الدين والحياة

يدّعي البعض من المغالطين أنّ الدين الإسلامي شريعة روحية تهتم بالجانب الاعتقادي والعبادي من إقامة الفرائض كالصلاة والصوم والحجّ وغيرها، وترك المنكرات، وتوطيد العلاقة بين العبد وربّه، وليس للدين علاقة في الحياة بكلّ مجالاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها.

وبناءً عليه يجب أن ينحصر الدين في المساجد، وأمّا الشؤون الدنيوية بما فيها الحكم وتنظيم شؤون الدولة فتكون خاصة بالبشر واجتهاداتهم في وضع القوانين التي تسيّر نظام الحياة في المجتمع.

وادّعوا بأنّ تطبيق مبادئ الشريعة يؤدي إلى حصول الخلل في النظام المجتمعي وينشئ الفرقة والطائفية التي تؤدّي في بعض الأحيان إلى سفك الدماء. وادّعوا عدم وجود دولة موحّدة بالمدينة، وأن النبيّ صلى الله عليه وآله كان رجل دين فقط ولا علاقة له بأُمور الدولة وأنظمتها.

وبنظرة سريعة لما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وما ورد في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، يتبين أن الإسلام تكفل بإقامة أرقى نظام إداري دقيق وقوي للدولة، وتحديد مرجعيات ذلك النظام في حال الاختلاف والتنازع، وكما سيمر علينا.

فقد أشار القرآن الكريم في هذا المعنى بقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**) (النسَاء: ٥٩).

فأُولي الأمر هنا تعني ولاية أمر المسلمين في كلّ شؤون حياتهم الدينية والدنيوية، ويشترط عندنا في مذهب أهل البيت عليهم السلام أن يكون معصوماً، وإلّا كيف تجب طاعته إذا كان يحتمل منه صدور الخطأ.

ومن الآيات التي تحدثت عن أساس الحكم الإسلامي وهو العدل الذي يعتبر الركيزة الأساسية في الإدارة السليمة للدولة حتى تحفظ الحقوق والواجبات. قال تعالى: (**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**) (النساء:٥٨). وقوله تعالى: (**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**) (المائدة: ٨).

وجاءت الآيات التي عالجت شؤون المجتمع الإسلامي وحددت أنظمته وأساليبه للتعامل في كافة مجالات الحياة من قوانين البيع والشراء، والحرب والسلم، والحدود والقصاص، والميراث وغيرها. وأمر المسلمون بالالتزام بهذه القوانين والنظم لكي تستقيم حياتهم، ووصف القرآن

الكريم من يخالفها بثلاث صفات في سورة المائدة. قال تعالى: في ثلاثة آيات: (**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**) (المائدة: ٤٤).

(**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**) (المائدة: ٤٥).

(**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**) (المائدة: ٤٧).

ومما أكّد عليه القرآن الكريم هو العلاقات التي تربط بين أفراد المجتمع، ودعا إلى الأُخوّة قال تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) (الحجرات: ١٠).

وقال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) (الحجرات: ١٣).

ويتبين من خلال هذه الآية أنّ الإسلام ينظر إلى الجميع بكلّ طوائفهم ومذاهبهم وأديانهم على أنّهم أُخوة في الآدميّة فالكلّ من آدم وآدم من تراب، وهذه هي النظرة الاجتماعية الشمولية للإسلام التي من خلالها يكون لكل فرد في المجمع حقوق وواجبات مهما كانت ديانته ومذهبه مسلماً كان أو يهودياً أو نصرانياً، أو مجوسياً.

كذلك فإنّ الآية تبيّن أنّ أساس المفاضلة بين الناس هو الإيمان والتقوى.

وأمّا في السنة النبوية الشريفة، فقد وردت الأحاديث التي تتعلق بهذا النظام وهي مصداق ما ورد في كتاب الله عز وجل، ومنها قوله ﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ....)[٣].

ودعا النبي ﷺ إلى وحدة الصفّ وجمع كلمة المسلمين حيث قال ﷺ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعْضاً)[٤].

ومما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما يتعلّق بنظام الحكم، أنّه قال: (فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّه وأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّين واعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ ويَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ)[٥].

خصائص النبي ﷺ

امتاز النبي الأكرم ﷺ بثلاثة خصائص:

أ. النبوة: ومعناها أنّه ﷺ كان يُنبأ من قبل الوحي.

ب. الرسالة: وهو القيام بالدور الديني المتمثل بشرح تطبيقات القرآن الكريم وكل ما جاء في الشريعة الإسلامية، وهو دور علمي وفكري وثقافي.

ج.الإمامة: وهي القيادة السياسية والإدارية والاجتماعية للأمّة. وهذا ما نجده واضحاً من خلال قراءة تاريخ الهجرة النبوية لنطلع على ما قام به النبي ﷺ من إنشاء نظام كامل متكامل سياسيًا واجتماعيًا وإداريًا في المدينة؛ وذلك من خلال:

أولاً: قام ببناء المسجد الذي لم يكن موضعاً للصلاة والعبادة فقط، وإنّما هو المقرّ الرئيسي لإدارة الدولة الإسلامية، ومكان اجتماع المسلمين للاستماع إلى خطب النبي ﷺ التي يتحدث فيها عن كل أُمور الدين والدولة.

ثانياً: قام ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ليكون اجتماع المسلمين وفق أُسس مبنية قائمة على الإخاء والمساواة، وأمّا بالنسبة للطوائف الأُخرى بالمدينة من يهود ونصارى فكتب النبي ﷺ كتابًا ينظم فيه التعامل معهم، وحدد الحقوق والواجبات لكلّ من هذه الجماعات، وهذا ما عرف بـ

(وثيقة المدينة) أو (دستور المدينة)[٦] الذي يمثل قانوناً دستورياً يحدد العلاقات بين طوائف الدولة وفئاتها.

ثالثاً: قامﷺ وفق الأُصول الشرعية وقواعد الدين أن يبرم المعاهدات ويسنّ قوانين جباية الأموال وإنفاقها في وجوهها، وكذلك تعيين الولاة والقضاة، وتنظيم شؤون الحرب والسلم. وهذا معناه أنّ النبيﷺ أدار شؤون الدولة الإسلامية بكلّ مرافقها.

والآن ومن خلال هذا الاستقراء وهذا البيان يتبين لنا بأنّ نظام الحكم ليس غريبًا عن الإسلام، بل هو جزء لا يتجزأ منه.

الأمر الثاني: النفاق

معنى النفاق لغة وشرعاً

تعني لفظة النفاق: إخفاء الكفر وإظهار الإيمان. جاء استعمال النفاق بهذا المعنى لأول مرّة في القرآن الكريم، حيث إنّ العرب قبل الإسلام لم يستخدموه بهذا المعنى.

كتب ابن الأثير ما يلي: (وهو اسم لم يعرفهُ العرب بالمعنى المخصوص، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه)[٧].

اختلف أهل اللغة في أصل النفاق.

فقيل: مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض الذي يستتر فيه، سمّي النفاق بذلك لأنّ المنافق يستر كفره. وبهذا قال أبو عبيد[٨].

وقيل: إنّه مأخوذ من نافقاء، والنافقاء موضع يرقّقه اليربوع من حجره، فإذا أتى من قبل القاصعاء برأسه فانتفق، أي: خرج، ومنه اشتقاق النفاق؛ لأنّ صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأنّ الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء.

ويمكن أنّ الأصل في الباب واحد، وهو الخروج، والنفق المسلك النافذ الذي يكن الخروج منه[٩].

قال ابن رجب: والذي فسّره به أهل العلم المعتبرون أنّ النفاق في اللغة هو من جنسه الخداع والمكر، وإظهار الخير وإبطان خلافه[١٠].

وأمّا النفاق شرعاً فهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر.

وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بهذا المعنى الخاص، وإن كان أصله الذي أخذ منه في اللغةمعروفاً[١١].

أقسام النفاق:

١- النفاق الاعتقادي: أي في أصل الدين وقد تحدث عنه القرآن الكريم في آيات عديدة ووعد صاحبه بأنّ عاقبته ستكون في الدرك الأسفل من الجحيم.

قال تعالى: (**وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**)(التوبة:٦٨).

وقال تعالى: (**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**) (المنافقون: ١).

وقال تعالى: (**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**) (النساء: ٨٩).

٢- النفاق الأخلاقي: ويمثل عدم الالتزام بأحكام الدين، وكذلك اختلاف السريرة والعلانية عند الشخص، كأنّما يظهر الأمانة وهو خائن، ويظهر الصدق وهو كاذب، ومثل هذا يصح أن تقول عنه أنّه فاسق، وقد جاءت الروايات عن أهل بيت العصمةعليهم السلام في هذا المعنى ومنها:

عن أمير المؤمنينعليه السلام أنّه قال: (أظهر الناس نفاقاً من أمر بالطاعة ولم يعمل بها،

ونهى عن المعصية ولم ينته عنها)[١٢].

وعن الإمام السجاد عليه السلام أنّه قال: (إنّ المنافق ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي... يمسي وهمّهُ العشاء وهو مفطر، ويُصبح وهمّهُ النوم ولم يسهر)[١٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: (بئس.. العبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يُطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أُعطي حسده وإن ابتلي خذله)[١٤].

هل كان النفاق موجوداً في العصر الجاهلي؟

لم يستخدم العرب في الجاهلية النفاق بمفهومه الاصطلاحي، وهو إظهار المرء خلاف ما يبطن من العقيدة، وكذلك فإنّ النفاق لم يكن حتى عند المسلمين في مكّة؛ وذلك لعدم وجود دواعي النفاق وهي المصالح الدنيوية أو الخشية من القتل، وأي ظرف من الظروف الأُخرى، ولذلك ليست هناك آية واحدة مكية تتحدث عن النفاق.

ومن أسباب عدم وجود النفاق في مكّة أن الناس كانوا فريقين: إمّا مسلم موحّد، وإمّا كافر مظهر لكفره. ولعلّ ذلك يرجع إلى أن المسلمين في مكة لم يكن لديهم قوة، فهم كانوا مضطهدين ومعذبين، فلم يكن أحد يثبت على الإسلام، إلّا المؤمن الصادق الإيمان.

نشأة النفاق في المدينة: لعلّ هناك من يوعز سبب نشوء النفاق في المدينة بعد الهجرة النبوية الشريفة إلى قيام المجتمع المدني وبناء أوّل دولة للإسلام في المدينة المنورة، وهذا مردود وذلك لأنّ سبب نشأة النفاق هو قوة شوكة الإسلام بعد الهجرة واتّساع نطاقه مما أدّى إلى ضرب المصالح الدنيوية لبعض الطبقات النفعية التي كانت تسود في المدينة والتي حاولت النيل من الإسلام وضرب الإسلام من الداخل عن طريق النفاق. وكان اليهود ممن تحالفوا مع المنافقين لضرب الإسلام والمسلمين. ومن شاء فليراجع كتب التاريخ عند الفريقين ليطلع على هذا المعنى ويرى بنفسه ما كان يحاك من الدسائس من قبل المنافقين وأعوانهم اليهود لضرب الإسلام والنيل منه.

الأمر الثالث:

المواطنة في الشريعة الإسلامية

المواطنة لغة:

المواطنة على صيغة (مفاعلة) وأصلها الوطن.

قال الفيروز آبادي: (إنّ الوطن: منزل الإقامة)[١٥].

وبهذا تكون المواطنة تعبير عن تفاعل بين طرفين، بمعنى ما يربط بين المتوطن ووطنه من مشاعر في كلّ الجوانب الحياتية الإنسانية والمادية والقومية والتاريخية والعاطفية.

المواطنة في الإسلام:

تقوم المواطنة في الشريعة الإسلامية على أساس الحقوق والواجبات وفق ما أراده اللّه تعالى بما يحقق مرضاته ويحقق المصلحة العامة للأُمّة، وكذلك بما يحفظ كرامة الإنسان ومصالحه ويحقق إقامة العدل بين الناس.

المواطن وحسب المنظور الإسلامي هو كلّ إنسان ينشأ في بلد وينتسب له ويعيش مع أهل ذلك البلد. فالإنسان الذي يعيش في بلد ما فهو مستخلف فيها. قال تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ**) (الأنعام: ١٦٥). ومن هذا المنطلق فعليه تحمل هذه الأمانة من خلال حماية وطنه والدفاع عنه والحفاظ على استقراره.

أعطى الإسلام لكل مواطن حقوقاً تضمن له أن يعيش عزيزاً كريماً في هذه الحياة بغض النظر عنه انتمائه القومي أو الجنسي أو العقيدي، فالإسلام ينظر إلى الناس نظرة متساوية من حيث إنّهم خلقوا من آدم وآدم من تراب. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: (الناس سواء كأسنان المشط)[١٦].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر النخعي: (وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ ولَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)[١٧].

وهذه هي النظرة الشمولية التي ينظر بها الإسلام للناس وعلى أساسها قررت الشريعة المقدسة نظام الحقوق والواجبات لكلّ مواطن.

حقوق المواطن:

١- حقّ الحياة: وهو الحفاظ على حياة الإنسان وعدم الاعتداء عليه بلا مبرر، حتى وصل الأمر أن القرآن الكريم يقول: (**مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً**)(المائدة: ٣٢). لذلك وضع قانون القصاص في القتل المتعمد، قالتعالى: (**وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلبَابِ**) (البقرة: ١٧٩). ونهت الشريعة عن قتل الإنسان لنفسه. قال تعالى: (**وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً*وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرا**) (النساء: ٢٩ – ٣٠).

وفي المقابل قال تعالى: (**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعا**) (المائدة:٣٢)، مما يؤكّد حرمة وقدسية حياة الإنسان في الشريعة الإسلامية.

٢- حقّ الحرية: رفض الإسلام الرقّ والعبودية الذي كان سائراً قبل البعثة في الأمم السابقة، واعتبر أنّ العبودية فقط لله عزّ وجلّ دون غيره. وجعل تحرير الإنسان من العبودية من الأمور التي ينال بها العبد الفضل والمنزلة عند الله تعالى. وجاء القرآن الكريم ليحثّ على تحرير الإنسان من الرقّ والاستعباد، قال تعالى: (**فَلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا العَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَة**) (البلد: ١١–١٢). إضافة إلى أنّ الشريعة الإسلامية جعلت من تحرير الرقاب كفارة لبعض الذنوب ككفارة القتل الخطأ، قال جل وعلا: (...**وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ**...) (النساء: ٩٢)، وكذلك في كفارة الإفطار المتعمد واليمين الكاذبة والظهار وغيرها من الأحكام الشرعية التي أكّدت على هذا المعنى.

وكلّ هذا يؤكّد حقّ الحرية للإنسان في هذه الحياة، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً)[١٨].

٣- حقّ الكرامة: لكلّ إنسان كرامة في الإسلام بغض النظر عن قوميته ولونه ودينه، قال تعالى: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**) (الإسراء:٧٠).

٤- حقّ العقيدة: حيث إنّ الإسلام قرر لكلّ فرد عقيدته الخاصة به ولا يجوز أن يجبر على الدخول بدين معين. قال تعالى: (**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّين**) (البقرة: ٢٥٦)، وكذلك قال تعالى في سورة الكافرون: (**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين**) (الكافرون:٦)، وسمح لغير المسلمين في البلاد الإسلامية بإقامة شعائرهم وبناء بيوتهم العبادية ولكن ضمن شروط وضوابط موجودة في الفقه

الإسلامي، على اعتبار أنّ البلدبلد إسلامي. وعلى غير المسلمين في بلاد الإسلام أن يدفعوا الجزية وغيرها من الأحكام الخاصة بهذا المعنى.

لقد سمح الإسلام بحرية الاحتكام إلى شرائع غير المسلمين في أحوالهم الشخصية. قال تعالى: ﴿**وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ**﴾ (المائدة: ٤٢).

٥- حقّ المساواة: فالكلّ في الإسلام سواء. قال النبيﷺ: (الناس سواء كأسنان المشط)[١٩]، وكذلك الحديث: (لا فرق لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلّا بالتقوى)[٢٠].

٦- حقّ العدل: والعدل هو الأساس في الشريعة الإسلامية الذي تقوم عليه كرامة الإنسان، وهو الذي يحقق مصالح العباد في هذه الحياة، ويحقق المساواة بينهم عند تطبيقه وفق الموازين الربانية. قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾ (النحل: ٩٠).

قال أمير المؤمنينعليه السلام: (الذَّليلُ عِنْدي عَزيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَه والْقَوِيُّ عِنْدي ضَعيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْه)[٢١].

٧- حقّ الرعاية: حيث إنّ من واجبات ولي أمر المسلمين رعاية الناس ورعاية مصالحهم فتأمين ضرورياتهم الحياتية بغض النظر عن انتماءاتهم، قال النبيﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، فالإِمَامُ راعٍ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَتِه....)[٢٢].

واجبات المواطن:

هناك واجبات لكلّ فرد من أفراد المجتمع تجاه الآخرين الذين يعيشون معه في الوطن نفسه، وكذلك اتجاه ولاة الأمر من حيث السمع والطاعة للحاكم في غير معصية الله تعالى.

ولا نريد الدخول في تفصيل الواجبات الخاصة بالمواطن، ولعلنا نوفق في بحث خاص حول واجبات المواطن في الدولة المدنية في وقت لاحق إن شاء اللّه■

---

١) لسان العرب/لابن منظور٥ : ٣٤٠، مادة: (دين).
٢) المصدر نفسه ٥ : ٣٣٩٨، مادة: (دين).
٣) جامع الأخبار: ١١٩، الفصل٧٥، والبخاري١: ٣٠٤، باب الجمعة في القرى والمدن، وسنن الترمذي٤ : ٢٠٨، ومسند أبي داود ٣ : ١٣٠، وغيرهم.
٤) رياض الصالحين/يحيى النووي: ٢٨، وأورده البخاري أيضاً.
٥) نهج البلاغة/للشريف الرضي: ٤٥٥، الخطبة: ٢١٦.
٦) البداية والنهاية لابن كثير ج٢ ص٢٧٣ نقلًا عن محمد بن إسحاق.
٧) النهاية/لابن الأثير لفظة: (نفق)، وأيضاً لسان العرب/لابن منظور ١٠ : ٣٥٩.
٨) لسان العرب/لابن منظور١٤: ٢٤٣، مادة: (نفق).
٩) مقاييس اللغة/لابن فارس٥ : ٤٥٥، مادة: (نفق).
١٠) جامع العلوم والحكم/لابن رجب الحنبلي٢: ٤٨١.
١١) النهاية في غريب الحديث ٥ : ٩٧، التعريفات/للجرجاني: ٢٤٥.
١٢) غرر الحكم، الحديث: ٣٢١٤.
١٣) أُصول الكافي ٢ : ٣٩٦.
١٤) المحجّة البيضاء ٥ : ٢٨٢.المنافقون: ١.
١٥) القاموس المحيط/محب الدين محمد بن يعقوب٤: ٢٦٧، باب النون، فصل الواو والهاء.
١٦) بحار الأنوار/للمجلسي٧٨: ٢٥١، ح١٠٨، ب٢٣.
١٧) نهج البلاغة/للشريف الرضي: ٤٢٧، تحقيق: صبحي الصالح.
١٨) مستدرك الوسائل ٧ : ٢٣١، ح٨١١٦، باب: ٣٣، في وصيته لابنه الحسنعليه السلام.
١٩) بحار الأنوار ٧٨ : ٢٥١، ح١٠٨، ب٢٣.
٢٠) رواه أحمد ٤ : ٤١١، وأبو نعيم في الحية ٣ : ١٠٠.
٢١) شرح نهج البلاغة/لابن أبي الحديد ٢ : ٢٨٧، الخطبة: ٣٧.
٢٢) جامع الأخبار للشيخ الصدوق: ١١٩، الفصل ٧٥، والبخاري١: ٣٠٤، باب الجمعة في القرى والمدن، ومسند الترمذي٤: ٢٠٨، ومسند أبي داود٣ : ١٣٠، وغيرهم.

أجوبة مسابقة العدد (٦٢)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ- إسماعيل

السـؤال الثاني: ب- خمسة

السـؤال الثالث: ج- أربعة

السـؤال الرابع: ب- قس الناطف

السؤال الخامس: ب- سويد بن غفلة

السؤال السادس: ج- زرارة بن اعين

السـؤال السابع: ب- الشيخ المفيد

السـؤال الثامن: ج- ١٩

السـؤال التاسع: أ- حبابة الوالبية.

الفائز بالجائزة الأولى: حسين عبد الأمير السلامي/ كربلاء ـ البوبيات

الفائز بالجائزة الثانية: علاء خلف بشير/ ذي قار ـ الفهود

الفائز بالجائزة الثالثة: زيد لطيف عبد الرحيم/ بابل/ الحلة ـ حي الاساتذة

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٦٤)

١ واقعة بدر، أول واقعة نازل فيها المسلمون مشركي قريش وكانت الغلبة للمسلمين، حدثت في ١٧ رمضان سنة ٢هـ، كان المسلمون مشاة إلا صحابي جليل كان له جواد أبلق فمن هو ذلك الصحابي؟

أ- المقداد بن الأسود

ب- عمار بن ياسر

ج- الحمزة بن عبد المطلب

٢ من أدعية شهر رمضان المبارك، فيه مضامين عالية، تستحب المواظبة عليه في كل يوم في الفترة التي تلي الإفطار، كان السفير محمد بن عثمان العمري يدعو به، فإن الدعاء بهذا الشهر تسمعه الملائكة وتستغفر لصاحبه، فما اسم هذا الدعاء؟

أ- دعاء البهاء

ب- دعاء الافتتاح

ج- دعاء المجير

٣ (ألم أشهدك معي يا علي سبعة مواطن، منها ليلة القدر، خصصنا ببركتها، ليست لغيرنا) فقرة من حديث جرى بين النبي المصطفى صلى الله عليه وآله والوصي المرتضى عليه السلام رواه لنا بريدة حيث كان حاضرًا، ففي أي عدد كان بينها موطن ليلة القدر؟

أ- الموطن الرابع

ب- الموطن الخامس

ج- الموطن السادس

٤ لما ضرب ابن ملجم رأس الإمام علي عليه السلام بسيفه، انسحب رويدًا نحو باب كندة لينجو بنفسه وقد أدركه هناك أحد المسلمين فقبض عليه وجاء به مقيدًا للمسجد، فمن هو ذلك الرجل؟

أ- حذيفة النخعي

ب- قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام

ج- صعصعة العبدي

كوبون المسابقة

ينابيع

٦٤

الاسم الثلاثي:العنوان:

جواب السؤال الأول

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثاني

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثالث

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الرابع

أ	
ب	
ج	

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة بنابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ذي الحجة/ ١٤٣٦هـ

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ (يدخل المهدي الكوفة وبها ...رايات قد اضطربت فيصطفوا له ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب، فلا يدري الناس ما يقول من البكاء،...)، حديث مروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام يخبر به عن حركة الإمام المهدي عليه السلام، كم راية عدها عليه السلام في هذا الحديث؟

أ- ثلاث.
ب- أربع.
ج- خمس.

٦ عبد العظيم بن عبد الله بن علي السديد بن الحسن بن زيد بن الإمام الحسن، المعروف بـ (شاه عبد العظيم) المدفون في الري (جنوب طهران اليوم)، قال الصاحب في فضله: (ذو ورع ودين، عابد، معروف بالأمانة، وصدق اللهجة، عالم بأمور الدين..) متى كان تاريخ وفاته؟

أ- ١٥/ شعبان/ ٢٥٢هـ
ب- ١٥/ رمضان/ ٢٥٢هـ
ج- ١٥/ شوال/ ٢٥٢هـ

٧ تقع الصيحة في شهر رمضان، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ومن صفاتها أنها توقظ النائم وتقعد القائم وتخرج العواتق من خدورهن، في سنة كثرة الزلازل، ففي أي وقت تقع من الشهر؟

أ- ليلة النصف من رمضان
ب- ليلة السابع عشر
ج- ليلة القدر

٨ (... يا أبان هذه الصلوات الخمس المفروضات من أقامهن وحافظ على مواقيتهن لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخله الجنة،...) حديث سمعه أبان بن تغلب من الإمام الصادق عليه السلام في موطن من المواطن، فأي المواطن كان؟

أ- منى ب- المزدلفة ج- عرفات

٩ أقول وقد راحوا به يحملونه.....على كاهل من حامليه وعاتق أتدرون ماذا تحملون إلى الثرى....ثبيرًا ثوى من رأس علياء شاهق

أبيات قالها شاعر من شعراء الإمام الصادق عليه السلام في رثائه، فمن هذا الشاعر؟

أ- السيد الحميري ب- الكميت بن زياد
ج- أبو هريرة العجلي

قناة المنهاج الفضائية

MINHAJ TV CHANNEL

للحقيقة نهجها

www.minhaj-tv.com

info@minhaj-tv.com

التردد: 11641 أفقي | معدل الترميز: 27500 | القمر: نايل سات

أخذت هذه الصورة في الصحن الحسيني المطهر بتاريخ ٢٣/٣/ ١٩٦٢ بمناسبة مرور عام على رحيل العلامة السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة سادن الروضة الحسينية المقدسة ويظهر من اليمين: السيد عبد العزيز آل طعمة، السيد مغيث آل طعمة، السيد حسن آل طعمة، الخطيب الشيخ موسى اليعقوبي، شيخ الخطباء محمد علي اليعقوبي، الحاج جاسم الكَلكَاوي، السيد سلمان آل طعمة

مؤسسة الحكيم للثقافة الإسلامية